روايات عبير

nlo

ريبيكا ستراتون

أصابع القمر

٢٥

أصابع القمر

كاترين تحملت في شبابها مالم تتحمله اي فتاة اخرى . والدها عاش بعيداً وتوفيت والدتها باكراً . الاّ انها احبت زوجة والدها الثانية ماريا وبعد وفاتها قامت برعاية اخويها غير الشقيقين كأم وأب ومربية في وقت واحد .....

المفاجأة بعد غرق والدها على شاطىء اليونان ان اشقاء ماريا . زوجة ابيها الثانية . ارسلوا يطلبون رعاية الصغيرين بول والكساندر ، وكان على كاترين ان تأخذهما الى جزيرة داكوليس.....

وهناك ظهرت في وجهها صعوبات من نوع آخر ، فاعجبها الشاب الوسيم نيكولاس لبراعته في الغزل الاّ ان شقيقه البكر ستيفان وقف في وجهه مذكرا اياه بخطيبته أثينا... ووجدت كاترين نفسها في مأزق لا تعرف لمن تتجه خفقات قلبها ... حتى لامستها ذات ليلة اصابع القمر...

liilas.com

لبنان	[illegible] ل.ل.	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	[illegible] ل.س	الامارات	٩ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	[illegible] ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 120
السعودية	[illegible] ر	عمان	٦٠٠ ب	مصر	٨٠٠ م	Cyprus	P [illegible]

nlo

١ ـ الجولة الاولـى

ألقت كاترين غرانجر نظرة أخيرة على الشقة التي كانت تشغلها مع أخويها الصغيرين طوال السنوات الثلاث والنصف الفائتة، وأثناء هذه المدة لم يريا والدهم مطلقاً، بل تعوّد جورج غرانجر أن يقضي معظم وقته في الخارج، ومهما حدث لأسرته من أزمات كان يتلافى رجوعه خلفها، ويلقي حمله كله على عاتق أسرته لتتصرف وتحل كل مشاكلها بنفسها.

كان يزعم دائماً بأنه وطني غيور، لكنه عاش معظم حياته في بلاد أخرى غير وطنه، تمتاز بمناخ أدفأ من انكلترا بعيداً عن أسرته التي كان يقول أنه يحبها كثيراً، مع أنه كان يقضي معها وقتاً قصيراً، ثم ينصرف عنها غير مبال بأعبائها.

ومنذ عشرة أعوام كان جورج في بلد ما شرق أوروبا عندما علم بوفاة زوجته والدة كاترين،فاضطر أن يعود لمدة قصيرة كي ينهي أعمالاً لم تقبر

www.liilas.com

كاترين ذات الأحد عشر ربيعاً يومئذ على القيام بها. لكنه سرعان ما اختفى مرة أخرى تاركاً كاترين في مدرسة داخلية. كانت تكرهها كل الكره، وتتمنى أن تعود الى حياة الاسرة ثانية.

وبعد عامين فقط عاد الى انكلترا من جديد بصحبة زوجة يونانية شابة اسمها ماريا التي كانت سيدة طيبة، رقيقة. وتركت كاترين مدرستها الداخلية، وعادت الى دراستها القديمة وأقامت مع زوجة أبيها.

احتضنتها ماريا وتعاونتا سوياً على احتمال غياب جورج غرانجر الطويل، متنقلاً من بلد الى آخر وراء أعماله العديدة.

وكانت ماريا تتقن الانكليزية فلم تشكل لها هذه اللغة أي عائق. ولكن كاترين أدركت بعد فترة قصيرة أن مكان ماريا يجب أن يكون وسط أهلها في اليونان بدلاً من وجودها في بلد غريب لا تعرف أحداً فيه، بينما زوجها يتغيّب معظم وقته في الخارج. لم تكن ماريا ترى زوجها الا نادراً أو أكثر قليلاً مما تراه زوجته الاولى.

وفي خلال خمسة أعوام ونصف من هذا الزواج أنجبت ماريا لجورج غرانجر ولدين، كانت كاترين تحبهما وترى فيهما عزاءها عن تغيّب والدها.

وتحطم قلب كاترين عندما توفيت ماريا أثناء ولادة الابن الاصغر ولا شك أنها افتقدت زوجة أبيها الشابة وحزنت لوفاتها أكثر كثيراً من حزن أبيها نفسه.

ومرة ثانية عاد جورج غرانجر لدفن زوجته الثانية ومؤاساة ابنته الحزينة بأسلوبه الذي لا ينمّ عن عاطفة. ثم تركها مرّة أخرى بعد أسابيع قليلة. بل كان اهتمامه بها أقل في هذه المرة، اذ كانت قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها وأظهرت الرغبة والمقدرة على أن تتولى العناية بأخويها الصغيرين.

وقبل سفر جورج، أعدّ لهم مسكناً مريحاً مع سيدة تشرف على شؤونهم، ثم غادر الى جزيرة داكوليس مسقط رأس زوجته الثانية حيث كانت له أعمال

وتصيب في شركة ملاحة وتصدير، تملكها أسرة ماريا، تدر عليه ربحاً يجعله في سعة من العيش.

ولم تر كاترين أو أخواها الصغيران والدهم بعدئذ ولم يدهش ذلك كاترين برغم أنها كانت تنتظر أن يهتم والدها بطفليه الصغيرين. ومنذ ثلاثة أسابيع تلقت برقية موقعة باسم ستيفان ميدوبوليس تخبرها أن والدها مات غرقاً في حادث وهو يبحر من شاطئ اليونان.

ما كذبت كاترين ولا ادّعت الحزن على والدها، اذ كانت تراه نادراً أثناء حياته وهو غريب بالنسبة اليها. أما ابناه فلم يعرفا حتى شكله. وصممت كاترين على المضي في العناية بأخويها والاعتماد على نفسها لمواجهة المستقبل.

ولم تحضر جنازة والدها بل أسرعوا في تشييعه بدون أن يتركوا لها وقتاً كي تترك أخويها في عهدة أحد، أو تقوم باجراءات السفر الى اليونان في الوقت المناسب.

ثم وصلتها رسالة تعزية قصيرة ذات صيغة رسمية أرسلها ستيفان ميدوبوليس يأسف فيها لسرعة تشييع الجنازة، ويبلغها تعازيه، وكأنه يعرف مدى تقصير غرانجر نحو أسرته.

كان ستيفان أكبر أشقاء ماريا، ولكن ما أدهش كاترين أن ماريا كانت لا تتحدث كثيراً عن أهلها أو وطنها. ربما كان ذلك لفرط اشتياقها لهم. وبعد وفاة ماريا بفترة قصيرة، علمت كاترين من احدى رسائل والدها النادرة أن ستيفان يأمل في ضمّ أخويها الصغيرين الى رعايته اذ كان رأس العائلة، ومن واجبه العناية بطفلي شقيقته اليتيمين. وكان جورج غرانجر قد رفض هذه الرغبة حينئذ. وربما لئلا يبدو أنه تخلى عن مسؤولياته. ارتاحت كاترين كثيراً لهذا القرار فقد كانت لا تريد فقد الصغيرين لفرط تعلقها بهما ومحبتها لهما، فهما في منزلة ابنيها. لكنه يبدو أنه أعاد النظر في مسألة ترك الطفلين مع اختهما غير الشقيقة، ففي يدها الآن رسالة قرأتها للمرة الثالثة من محامي ستيفان ميدوبوليس يخبرها فيها أن والدها وافق على أن يكون ستيفان

nlo

ولياً لأمرهما. وسبب هذا الخبر صدمة قاسية لكاترين، لأنها اعتنت بأخويها بعد وفاة والدتهما، والآن سوف ينتزعان من حضانتها، الأمر الذي لن تتحمله أبداً. ولن تجد لفقدهما عزاء لها.

ولم تجد لديها الشجاعة أن تخبر الصبيين بأنهما سوف يرحلان للاقامة في بلد غريب مع خال لم يرياه من قبل، وربما لن يقع نظرها عليهما بعد ذلك أبداً، الأمر الذي لن تتحمله، فقد عاشت لهما وحدهما وليس لأحد أن ينتزعهما منها.

وكان عليها أن تصحبهما الى نيقوسيا وتسلمهما الى خالهما، وفي الوقت نفسه لا بدّ أن تجد طريقة لتخبرهما بذلك المصير الذي سوف يصعب على بول الصغير فهمه، ويحطم قلبه مجرّد علمه بأنه لن يرى حبيبته كاترين ثانية، ويعيش بعيداً عنها بين أناس لا يعرفهم.

كانت كاترين، الأم الوحيدة التي عرفها، وكان لا يزال يعتمد عليها في كل شيء بالرغم من أنه بلغ السنة الثالثة والنصف من عمره.وحتى أخوه الذي بلغ الخامسة ما زال يعتمد عليها كثيراً. ثم تساءلت كيف يكون الحال عند علمهما بأنها سوف ترجع الى انكلترا وحدها وتتركهما محاطين بأقربائهما الأغراب.

تركت كاترين كل شيء في عهدة السيدة هاريسون مشرفة المنزل، وكانت هذه السيدة الطيبة قد تأثرت بمصيرهم فسحت دمعتها لدى وداع الطفلين، ونظرت الى كاترين وهزت رأسها في حزن، فهي ما تزال في نظرها طفلة صغيرة أيضاً برغم تلك المسؤوليات التي حملتها وهي يافعة.

وكان الطفلان في قمة سعادتهما وفرط حماسهما لهذا السفر المفاجىء، وجلست كاترين بين الحقائب تنتظر السيارة لتنقلهم الى المطار وتحاول اخفاء شعورها عن الطفلين وتتركهما ينعمان ببهجة السفر والتطلع للذهاب الى بلد جديد.

وكانت كاترين رقيقة الملامح يميل وجهها الى الشحوب، ذات شعر لونه نحاسي غامق، وعينين واسعتين خضراوين وأنف دقيق، وفم واسع كثير الابتسام. وكانت تلفت الانظار اليها دائماً، لكنها لم تشجع المعجبين بها أبداً لتفانيها في

العناية بأخويها الصغيرين، اذ كرّست حياتها لهما وصممت أن تقضي بقية العمر معهما.

وكان الجو دافئاً في ذلك اليوم، فارتدت ثوباً أخضر اللون قصيراً رائعاً، بدت فيه كدمية صغيرة جميلة. ولما جاء بول الصغير ليتكىء اليها، ابتسمت له. فلمعت عيناه السوداوان بالحب والشقاوة، مما ذكرها بوالدته فقد كان يشبهها كثيراً. وارتاحت كاترين لذلك لأنه سوف يندمج مع عائلته اليونانية، التي لم يسمع عنها أبداً.

أما أليكساندر فكان أقل سمرة من أخيه ولكنه يتمتع بالعينين السوداوين الواسعتين، وكانت كاترين تأمل أن يكون وليّ أمرهما المقبل أكثر عطفاً وحنواً بعكس ما توحي به رسالته.

وبدأ بول يمطرها بأسئلته عن هذه الرحلة، لكنها ارتاحت عندما سمعت جرس الباب يقرع معلناً وصول السيارة التي ستنقلهم الى المطار، بالرغم من أنها كانت تتمنى معجزة تجعل ستيفان ميدوبولس يغيّر رأيه ويترك الطفلين في رعايتها.

ولم تصدق كاترين أنهم غادروا مطار هيثرو منذ أقل من خمس ساعات، فهم الآن يحلقون فوق مطار نيقوسيا التي بدت لها كبلد غريب، ولكنها اختلف عن دنياها بجمالها الرائع الخلاب مما رفع من معنوياتها على الرغم من السبب الذي يكمن وراء هذه الرحلة.

فكرت أن تتمتع بعطلة تقضيها في ربوع تلك البلاد قبل عودتها الى الوطن وتكون ذريعة تجعلها قريبة من الطفلين لفترة أطول، وبدا لها هذا التفاؤل سخيفاً في هذه الظروف، ولكن عندما رأت جمال البلاد صممت على البقاء لفترة معهما.

كانت الامسية دافئة وبدت لها الشمس قبل غروبها ساطعة براقة لم تر لها مثيلاً من قبل، وتمنت أن تصحب الولدين لتستكشف الجزيرة، لكنهما كانا قد نال

nlo

كل منهما التعب، وميالاً الى النوم بعد رحلتهما الطويلة.

«الآنسة غرانجر»

سمعت كاترين هذا الصوت الرقيق يناديها فضمت الطفلين اليها بحركة لاشعورية وأومأت بالايجاب بعينيها الخضراوين، فوجدت شاباً طويلاً أسمر ذكرها في تلك اللحظة بماريا،فعرفت شخصيته قبل أن يعرّفها بنفسه وقال وهو يبتسم ويمدّ لها يده:

«أنا غريغوري ميدوبوليس.»

وكانت كاترين تعلم أن هناك أكثر من أخ لماريا لكنها كانت تتوقع أن ينتظرهم في المطار ستيفان ميدوبوليس الأخ الأكبر. كان واضحاً أن هذا أحد اخوة ستيفان، اذ وجدت كاترين أمامها شاباً وسيماً للغاية، يبتسم لها مرّحباً بعكس ما كانت تتوقع من لهجة الرسائل التي وصلتها.

«يسعدني لقاؤك يا سيد ميدوبوليس.»

قالت كاترين ذلك ثم نظرت الى أليكس وبول اللذين راحا يتفحصانه بنظرة متشككة قلقة ويقبضان على يديها بشدة.

«هذان هما ألكسندر وبول، أيها الصبيّان هذا هو خالكما.»

انحنى غريغوري عليهما ليتقرّب منهما وأخذ أيديهما في يديه وضغط على يد بول بالذات لأنه لاحظ أن شفة الطفل السفلى بدأت ترتعش وبدا في عينيه التعب.

«سوف تروق لكما هذه البلاد. لديّ أطفال مثلكما، بنتان، وسترياني أماكن كثيرة تستمتعان فيها بصحبتهما.»

سأل بول:

«وهل ستكون كاترين معنا؟»

شعرت كاترين بخيبة أمل عندما نظر اليها غريغوري في تساؤل. فردت عليه بهدوء، قائلة:

«لم يعوّدا أن يكونا وحدهما.»

وشعرت أنها ستنهار وتستسلم للبكاء، اذا طالت رفقتهم وكثرت أسئلة الطفلين، لكنها وجدت في عينيه السوداوين، اللتين تشبهان عيني ماريا، عطفاً ومودة وشعرت أنها ستواجه صعاباً أكثر مما توقعت، وودت لو كان الفراق في انكلترا وليس هنا لكنها طال الوقت صعب عليها تفسير الموقف لها. وقالت وهي تتلعثم:

«أنا... لم... تتح لي فرصة...»

وهزت رأسها، فأخذ غريغوري ذراعها برفق قائلاً:

«سيكون الأمر أسهل بعد أيام قليلة. والآن سنطير تواً الى داكوليس. هيّا بنا.»

وأشار بيده الى طائرة خاصة تلمع في الضوء وتقبع في ركن من المطار. أثار منظرها كاترين فانتعشت قليلاً، لكنها توقعت حدوث متاعب ثانية، اذا باتت معهما ولو لليلة واحدة في بيتهما الجديد، ولذا قالت لغريغوري:

«لا أستطيع الذهاب معك.»

وامتلأت عيناها بالدموع وضغطت على اليدين الصغيرتين اللتين تشبثتا بأصابعها في شدة ورفضتا تركها مهما حاولت، ثم قالت:

«ليس لي الحق في المجيء معكم.»

ابتسم غريغوري قائلاً:

«كل شيء حاضر يا آنسة غرانجر سوف تقيمين في المنزل الى أن يتعود الصغيران حياتهما الجديدة. فهذا ما أمر ستيفان به.»

هذا ما أمر به ستيفان! كان هذا القول يعكس تماماً شخصية ذلك الرجل الذي أرسل لها تلك الرسائل الجافة، وبطريقة لاشعورية رفضت أن تكون تحت أي ضغط فهي لم تنس أبداً أنه سبب كل ما تعاني الآن من مشاعر مؤلمة لفراق الطفلين ولم تتعود أن يملي أي شخص ارادته عليها طول حياتها. ونجحت في أن تدير مجرى حياتها من غير تدخل أي رجل، فلم يعجبها أن يجبرها ستيفان على

nlo

البقاء مع الطفلين الى أن يتعودا الحياة هنا، رغم أنه بدا لها شيئاً بديهياً.

فقالت والانفعال يكاد يخنقها:

«هذا كرم من السيد ستيفان ميدوبوليس. الواقع أنني لم أكن أنوي الحضور معهما.»

وعضت شفتيها، لكنها رأت في عينيه مرة أخرى نظرة حانية خاطفة، وأجاب بهدوء:

«من الطبيعي أن يكون ذلك صعباً عليك ولذلك فكّر ستيفان في...»

ثم هزّ كتفيه العريضتين، كأنه يعني شيئاً واستطرد يقول:

«انه ليس شخصاً قاسياً يا آنسة غرانجر، ولو أنه يبدو كذلك أحياناً. فأرجو المجيء معنا.»

نظرت كاترين الى أخويها لترى اللهفة والدموع في عينيها كأنهما يفهمان ما يدور حولهما من حديث، وشعرت بضغط أصابعهما الصغيرة على يديها. فهمست الى غريغوري قائلة:

«أشكرك.»

فابتسم في رضى وامتنان.

وأثبت غريغوري أنه طيّار ماهر، كما تجدد حماس الطفلين لصعودهما في هذه الطائرة الخفيفة بسبب اختلافها عن الطائرة الضخمة التي أقلتهما وأمكنهما رؤية المناظر بسهولة. وألصق كل منهما وجهه بنافذة الطائرة عندما أقلعت من نيقوسيا لتحلق فوق البحر، فلم يسبق أن مرّا بكل هذه المناظر الخلابة التي بهرتهما ونالت كلّ اهتمامهما.

كان لون السماء ذهبياً براقاً تتخلله بعض السحب الصغيرة، وكأنها قطع حرير ذهبيّ تسبح فوق البحر الذي بدا بنفسجياً في ضوء الغسق، وكان البحر هادئاً تماماً وكأنه قطعة كبيرة من العقيق تعكس ضوء الشمس وتتلألأ ناثرة شعاعاً خلاباً.

«كم يبدو هذا المنظر جميلاً.»

قالتها كاترين هامسة وكأنها تتحدث مع نفسها، فالتفت اليها غريغوري مبتسماً وسألها:

«ألم تزوري اليونان من قبل؟»

«لا أبداً لم أسافر الى الخارج قبل اليوم. والدي كان يسافر كثيراً ويتركنا في المنزل ونادراً ما يزورنا، انه يجوب الاقطار ويتنقل بين البلدان.»

وبدت في عينيه تساؤلات كثيرة، فهو كيوناني يقدّس الرابطة الأسرية ويعتبرها من صميم التقاليد. ولم يفهم سلوك والدهم أبداً. حتى أنه سألها:

«هل كنت تعرفين والدك معرفة جيدة؟»

هزت رأسها بالنفي قائلة:

«لم أعرفه جيداً، الا لم نكن نراه الا قليلاً، حتى أن بول لم يره الا عندما كان عمره بضعة أسابيع.»

والتفتت الى أخويها الصغيرين فوجدتهما يتابعان المناظر.

«يجب أن يرى كل والد أولاده وهم يكبرون حتى يكون فخوراً بهم، ووالدك خسر الكثير بعدم رؤيتكم دائماً وترككم تواجهون مصيركم وحدكم.»

قال ذلك وهو يهز رأسه أسفاً لأنه لم يتصور أن أباً يترك أولاده مختاراً وخصوصاً ولدين ممتازين كأخويها.

ووافقت كاترين قائلة:

«نعم انهما ولدان ممتازان.»

التفت اليها، وبدت كاترين كأنها تقرأ أفكاره، انه أب لبنتين وطبيعي أن يحسد زوج شقيقته الراحلة لانجاب صبيين.

وسألته كاترين:

«قلت ان لك أسرة يا سيّد ميدوبوليس؟»

«عندي بنتان وللأسف لم أنجب صبياً الى الآن.»

nlo

وبدا قوله هذا غريباً في نظر كاترين، فالرغبة في انجاب الصبية ليست من العدل في شيء، وودت لو صارحته بذلك برغم أنها لم تعرفه من قبل وما رأته سوى اليوم، وسألته:

«هل يختلف عندك انجاب البنين عن البنات؟ أليسو كلهم في حاجة الى الحنان والحب؟»

وبدت الدهشة في عيني الرجل الداكنتين، ثم ابتسم لها وقال:

«انك لا تفهمين نظرتنا الى هذا الأمر، نحن نعتبر انجاب الصبية شيئاً يفتخر المرء به، لكننا نحب بناتنا أيضاً ولا بد أن ماريا أخبرتك بذلك».

وهزت كاترين رأسها ببطء وسرحت لحظة ثم قالت ببساطة:

«كنت أحب ماريا كثيراً».

وبدا الحزن على غريغوري وقال:

«ونحن أيضاً كنا نحبها، لذلك يريد أخي ستيفان ضمّ طفليها اليه».

كان الغسق ما زال منتشراً عندما أنزل غريغوري طائرته الصغيرة بمهارة فائقة ثم ساعد الصغيرين اللذين مالا الى النوم تعباً، ومدّ اليها يده لمساعدتها فاغتبطت كاترين لأنها لمست فيه فروسية الجيل الماضي التي تندر وجودها في عصرنا هذا.

«والآن أمامنا مسافة قصيرة نجتازها في السيارة الى المنزل».

قال ذلك وهو يحمل بول بين ذراعيه ويجتاز الحقل الاخضر حيث حطت الطائرة:

«الصبيان سوف يستغرقان في النوم فور ذهابهما الى الفراش.»

ولكن كاترين لم تشعر بالتعب، بل شعرت بانتعاش ومرح، كأنها تلميذة صغيرة وهي تمسك بيد أليكس وتتبع خاله الى السيارة الكبيرة اللامعة التي قادها بنفسه.

أجلس غريغوري بول برقة في المقعد الخلفي وأخذ أليكساندر الى جانبه

وهو يبتسم لها ويهز رأسه متعجباً وقال:

«الولدان يشبهان ماريا الى حدّ أنه شيء لا يصدق... كنا نخشى...».

ثم سكت فجأة ونظر الى كاترين معتذراً، وهو يتخذ مكانه الى جانبها في السيارة وأكملت هي عبارته:

«أن يشبها والدي؟ أنا سعيدة لأنهما يبدوان كاليونانيين وليس كالانكليز خصوصاً في الظروف الراهنة حيث سيصبحان من اليونان ويعيشان بين أهلها».

واعتذر غريغوري قائلاً:

«لم أقصد أي اساءة.»

فابتسمت كاترين وهي تفكر أن الرجال من عائلة ميدوبوليس لا يعتذرون عادة عن أي شيء يقولونه أو يفعلونه. وبالرغم من جاذبية غريغوري وسلوكه الذي لا غبار عليه هناك بعض القسوة فيه جعلتها تخشى اقامتها لدى أخيه ستيفان والبقاء تحت سيطرته، اذ لعله يكون في مثل قسوته وبدون جاذبيته.

وكانت عائلة ميدوبوليس واسعة الثراء، فهي تملك جزيرة داكوليس وجزيرة أخرى تجاورها أصغر حجماً، ولهم شركات للملاحة واسعة تدر عليهم ربحاً وفيراً. فاذا كان ستيفان ميدوبوليس على رأس هذه الامبراطورية، لا يحتمل أن يكون أقل غطرسة وصلفاً من أخيه غريغوري، ومن الأرجح أنه سيكون أكثر غطرسة، خاصة بعد تلك الرسائل القصيرة الجافة التي تبادلها معها، والتي دلت على مدى جبروته وسيطرته حتى على الاغراب.

وكان الطريق الذي سلكاه في السيارة وعراً وصخرياً، لكن المناظر المحيطة به تكشف البحر، وهي مناظر خلابة بالرغم من صعوبة الرؤية مع حلول الظلام، وكان الشاطىء صخرياً متعرجاً تتخلله خلجان رملية صغيرة تدخل فيها مياه البحر الزرقاء بهدوء. أما الاشجار فكانت كثيرة متعددة الانواع، عرفت كاترين منها النخيل والبرتقال والليمون وكاد عبيرها وجمالها ينسيانها السبب المحزن الذي

nlo

جاءت من أجله.

«هذه المناظر جميلة جداً».

قالت هامسة وهم ينزلون من التل ويلتفون حول منعطف آخر في الطريق المتعرج«تبدو كالخيال».

«ستروق لك الاقامة هنا».

قالها غريغوري بجدية، فالتفتت اليه وفي نفسها ريبة غامضة، لأنها لا تنوي البقاء في هذه الجزيرة.

فردت قائلة بصوت هامس حتى لا يسمعها الطفلان اللذان يغلب عليهما النعاس في مقعد السيارة الخلفي:

«ستروق لي حتماً لو كنت مقيمة هنا».

ورد غريغوري عليها بالصوت الهامس نفسه:

«ولكنك سوف تقيمين هنا لفترة بأي حال».

وبدأت بالرد عليه ولكنه أسكتها بحركة من يده بدا فيها التسلط

«يمكنك الاحتجاج لدى ستيفان يا آنسة غرانجر فهو رأس العائلة وبذلك يمكنه أن يوضح لك رغباته».

رغباته.. وطغى عليها شعور عارم بالمهانة لمجرد أن يملي شخص عليها رغباته.

ثم التفت السيارة حول منحنى ثان ودخلت بين صفين من أشجار السرو العالية، وأمكنها رؤية ملامح المنزل خلال اوراق الاشجار. كانت كافية لتجعلها تجزم بأنها لم تر في حياتها شيئاً أجمل منه...

وكان المنزل مبنياً على الطرف الضيق من الجزيرة، مياه البحر تحيطه وتظهر من كل نوافذه. الحدائق الواسعة بأشجارها الكثيفة وزهورها المتعددة تمتد حتى الشاطيء، وتظلل جوانب المنزل، ويطوّق ذلك كله شاطيء رمليّ متعرّج. وكان المنزل كبيراً، لم تر كاترين له مثيلاً من قبل، فجعلها تحملق فيه بنظرات لا تصدق ما ترى.

أوقف غريغوري السيارة وترجل، ثم دار حولها ليساعد كاترين في النزول. كانت تصرفاته لا غبار عليها وقد راقت لكاترين كثيراً وارتاحت لها. ولما كان منظر المنزل الخارجي مهيباً فداخله يفوق ذلك كثيراً، حتى أن كاترين ودت لو أنها لم توافق على الحضور ولو كان السبب بقاءها مع الوالدين فترة أطول.

ثم أمسكت بأيديهما وقادتهما عبر البهو الفخم، وكانت عيونهما مثقلة بالنوم، بول على وشك البكاء، ترتجف شفته السفلى لغرابة ما يحيط به من مناظر، ورغم لهفة غريغوري على تسليم الطفلين لأخيه، انحنى عليه وربّت على وجهه الحزين وهو ينظر اليه بحنو بعينيه الداكنتين ويقول:

«لن يطول الوقت حتى تشعر أنك في بيتك يا صغيري، انك بحاجة الى النوم».

فرد الصبي قائلاً وهو يخفي وجهه في ثوب كاترين:

«انني مجهد وأريد العودة الى منزلي».

رفعته كاترين بين ذراعيها قائلة ودموعها تكاد تتساقط وهي ترى فمه يرتجف:

«يا حبيبي ستشعر أن هذا المنزل صار مثل منزلك تماماً».

وضع الطفل رأسه على كتفها وأغمض عينيه، وودت لو استقبلهم صاحب المنزل قبل أن يستغرق الطفل في النوم.ولم تكن تبدو في أجمل مظهر وهي تحمل طفلاً صغيراً نائماً على كتفها، بينما الآخر يتشبث بطرف ثوبها وقد اتسعت عيناه الداكنتان المتسائلتان وصممتا على عدم البكاء.

وكأن الله استجاب صلاتها فانفتح أحد الابواب الموصلة الى البهو الضخم فجأة، وخرج منه رجل تمهل قليلاً عند رؤيتهم وغشت ملامحه نظرة تعجب غريبة ما لبثت أن زالت تواً. أعقبتها نظرة قاسية صارمة جعلت قلب كاترين يغوص في صدرها. لا بد أنه ستيفان صاحب تلك الرسالة الجافة التي ما زالت في حقيبة يدها، والتي تعكس شخصيته وتدلّ على مدى كبريائه وصلفه.

nlo

«آنسة غرانجر».

ومدّ يده وهو يقترب منها، لكن وجهه كان خالياً من أي ابتسامة مرحّبة كالتي رأتها على وجه أخيه في القطار. وكانت ملامح وجهه أقل وسامة من وجه أخيه ويبدو أكبر منه سناً بكثير، وقدرت أن يكون في أواخر الثلاثين من عمره.

كان هناك شيء مألوف لديها في مظهره، ولو أنه من غير الممكن أن تكون رأته من قبل، ولو صحّ ذلك لا يمكن حتماً أن تنساه.

كان ستيفان أطول قامة من غريغوري، كتفاه عريضتان وله سمة الرياضيين وملامح الصقر، شعره أسود وعيناه سوداوان. نظرته القاسية لم تقنع كاترين بأنه سيكون ولياً صالحاً لأمر أخويها الصغيرين.

أما وجهه الداكن فكان صارماً، ولم يكن كأخيه عندما نظر الى الطفلين. ثم قال ببرودة بعدما تبادل مع كاترين التحية المختصرة رسمية صارمة:

«لا بد أن يأوي الطفلان الى فراشهما توا، فلا بد أنهما يشعران بالتعب».

وفي الحال ظهرت امرأة سمراء من باب خلفي بعض الشيء، واقتربت منهم بينما احتجت كاترين قائلة:

«ولكني دائماً...»

ولم تكمل عبارتها بل أسكتتها اشارة من يده، وساء كاترين أن تطيعه وتكف عن الكلام، ولم يكن في وسعها الا الطاعة. في هذه الاثناء كان أليكس ينظر الى السيدة في رعب ثم خبأ وجهه في ثوب كاترين وأطبق بشدة عليه أما بول فكان مستغرقاً في سبات عميق على كتفها مما جعلها تقول:

«يستحسن أن أذهب معها فقد تعوّدت أن أصحبهما الى الفراش».

وكانت مصممة هذه المرة ألاّ تخضع لأوامر أحد.

«لا داعي لذلك. كاسيا قديرة أن تضعهما في الفراش، تدرّبت على ذلك كثيراً».

وهكذا ردّ ستيفان بلهجة آمرة.

وكانت كاسيا أقل قسوة مما بدت لها. نظرت الى كاترين نظرة توحي

بالتفاهم والحنو ثم انحنت ولمست ذراع أليكس برفق وهمست له ببضع كلمات يونانية. فنظر اليها الطفل متعجباً لهذه اللغة الغريبة، لكنه بدا متشبثاً بثوب كاترين وهز رأسه محتجاً... ومرة أخرى تحدثت السيدة باليونانية وبعد لحظة رفع أليكس وجهه الى كاترين وقال:

«لا أريد الذهاب معها. تعالي أنت أيضاً يا كاترين».

وارتعشت شفتاه. فنظرت كاترين الى وجه ستيفان الصارم وتساءلت، هل سيمارس سلطته كوليّ أمر للطفلين الآن فوراً، أم أنه سوف يجعلها تعوّدهما على طاعته بالتدريج.

ورأت في ملامحه وعينيه السوداوين نفاد الصبر وأطبق على فمه المستقيم بصرامة مما أفقدها الأمل ولكنها قالت راجية وقد اتسعت عيناها:

«لن يحدث ضرر، لتكن هذه المرة الاخيرة يا سيد ميدوبوليس».

وردّ عليها قائلاً:

«لكن ليس لدينا وقت قبل العشاء حتى يمكنك الاستحمام وتغيير الملابس، دعي كاسيا تأخذهما يا آنسة غرانجر».

وشعرت بيد أليكس تقبض على يدها بشدة، أما بول فاستغرق في النوم على كتفها، وقفت كاترين مترددة لأن الطفلين أصبحا الآن في كنف خالهما، ولكن بعد ذلك اليوم الطويل المجهد لن يضير أحد أن تصحبهما هذه المرة الى الفراش كعادتها دائماً. وأوحت اليها غريزتها أن تتوسل اليه بدلاً من أن تتحداه:

«أرجوك، لن أتأخر وسيكون ذلك في صالح الجميع».

ولم ترق لستيفان توسلاتها، كما رأت نظرة تعجب على وجه كاسيا لمجرد محاولتها تغيير رأيه. كان هذا غير وارد على الاطلاق، ولذلك دهشت عندما هز رأسه موافقاً وقال:

«حسناً انها ليلتهما الاولى هنا، ويجب مراعاة شعورهما بالغربة والتعب. اذهبي معهما بصحبة كاسيا ولكن لا تضيعي وقتاً طويلاً لأني أريد مناقشتك في

nlo

بعض الأمور بعد العشاء يا آنسة غرانجير.

ثم استدار وعاد من حيث أتى، وكان واضحاً أنه لم يحب ضعفه والخضوع لـ

بينما وقفت كاترين تنظر وراءه وتتعجب من الشعور الذي ينتابها بأنها رأته من قبل، فوجهه مألوف لديها رغم أنها لا يمكن أن تكون رأته ونسيته.

وامتدت يد غريغوري تنبهها برفق وابتسم لها مشجعاً وقال:

ستتقابل ثانية على العشاء.

وضغط على أصابع يدها برفق وتبع أخاه عبر البهو.

وبدا على وجه كاسيا التعجب والدهشة، فهذه هي المرة الاولى ترى فيها من يتحدى سيدها...

ثم سارت كاترين وراء كاسيا حاملة بول وساحبة أليكس القابض على يدها بشدة، وابتسمت لأنها كسبت الجولة الاولى مع ستيفان. فهذا شيء خطير بالنسبة الى رجل مثله.

liilas.com

nlo

٢ ـ قمر وليل

كل شيء يبدو لها فخماً على نحو لا يصدق. بالرغم من تعودها رغد العيش كانت ثروة عائلة ميدوبوليس الواسعة فوق كل تصوّر وأكبر من أية ثروة عرفها أبوها نفسه. وكانوا ينغمسون في كل ترف تحققه لهم تلك الثروة. أعدوا للطفلين جناحاً خاصاً، ولا شك أن حياتهما الجديدة بما فيها من إثارة وغرابة أنستهما وجودهما في مكان غريب، فلم يتأثروا كما توقعت كاترين بل بدا كل منهما كأنه في محيط مألوف لديه.

ثم قابلتها خادمة سمراء ابتسمت لها وقادتها إلى غرفتها، حيث أمضت كاترين وقتاً سعيداً تنظر حولها وهي تستحم وترتدي ملابسها، وبالرغم من أن ستيفان أفهمها بشكل أو بآخر أن تسرع، إلا أنها أمضت وقتاً لتلمس بإعجاب رخام الحمام الجميل وأقمشة الحرير والقطيفة مما أضفى على الغرفة لمسة الثراء الشرقي الذي اعتبرته قمة الفخامة والذوق السليم.

واكتشفت أن حقائبها سبقتها إلى الغرفة، وأن ملابسها رتبت في الخزائن الواسعة فبدت هزيلة قليلة في تلك الخزائن المعدة لما يفوق ملابسها أناقة.

واختارت كاترين ثوباً أصفر بأكمام واسعة وفتحة عريضة تكشف عنقها المرمري وكتفيها العاجيتين فبدت حسناء جميلة.

ولما غادرت غرفتها واستعدت للنزول شعرت بحرج شديد مرة أخرى. لم تكن تدري عدد أفراد الأسرة وإذا كانوا يستضيفون أحداً. وتمنت لو وجدت من يصطحبها ويأخذ بيدها ولو شكلياً ليقدمها إلى مضيفها وعائلته.

وكان السلم واسعاً فخماً من المرمر المطعم بالذهب، فخيّل إليها أنها تدخل إلى مسرح. أما البهو فبدا كالمعبد خالياً وساكناً. لكنها سمعت همهمة فشعرت بالارتباك، ولم تقو على إكمال النزول لأنها لم تدر ما تفعل عندما تصل إلى نهاية السلم وأين تذهب فالأبواب كلها موصدة أمامها.

وكان شعر كاترين الأحمر يلمع كالنحاس تحت الأنوار التي تضيء البهو، وعيناها الخضروان فيهما نظرة شاردة تنساب بين أهدابها الكثيفة. لكنها شعرت كأنها سبق لها النزول عن ذلك السلم الفخم، وسألت نفسها لماذا ينتابها هذا الشعور.

ثم سمعت كلمة ترحيب ترن في أذنها. وكان الصوت ناعماً وعميقاً قطع عليها تيار أفكارها، فتلفتت بسرعة وارتباك. لم تر أحداً في البهو إلى أن فوجئت ولم تدر من أي مكان جاء... كان شاباً صغير السن لا يكبرها إلا بسنة أو سنتين ودلت قسمات وجهه على أنه أحد أفراد ميدوبوليس، لعله الأخ الثالث. كانت له القامة نفسها، طويلة معتدلة مثل غريغوري و ستيفان، والعينان السوداوان. وابتسم لها ابتسامة كشفت أسنانه البيضاء المتساوية التي تضيء وجهه الأسمر الوسيم، ابتسامة تدل على شقاوة كامنة وإعجاب ظاهر بها.

وتقدم بسرعة وقابلها عند نهاية السلم وأخذ يدها ليلثمها وكلّمها بصوت خفيض فيه بعض نبرات مغرية. ثم قال لها وهو يحاول التأثير عليها:

«أنا نيكولاس ميدوبوليس وأنت كاترين غرانجر أليس كذلك؟»

فردت عليه قائلة وقد تأكد ظنها بأنه أصغر الأشقاء:

«نعم أنا كاترين...»

وفجأة زال عنها الخوف، وشعرت أنه أخذ بيدها كما، تمنت فعلاً، وتأكدت أيضاً أنه لا يتأثر بسلطة أخيه الأكبر، فارتاحت له وقالت وهي تبتسم بارتياح:

«يسعدني التعرف إليك يا سيد ميدوبوليس»

ثم نظر إليها بإعجاب من خلال عينيه السوداوين، وطافت نظراته بكل قسماتها وتسلطت على فمها وهو ما زال ممسكاً بيدها ثم قال برقة:

«ستجدين نفسك في الخيط إذا ناديت كل واحد منا: يا سيد ميدوبوليس لذلك يجب أن تناديني نيكولاس، أيها الحسناء».

قال ذلك وهو يدعي الجدية التي لم تبد على نظراته.

فارتاحت كاترين له وشعرت أن عبئاً ثقيلاً انزاح عن قلبها إذ وجدت الشخص الذي يمكنها التحدث إليه وتفتح قلبها له فقالت له:

«أشكرك يا سيد نيكولاس»

ثم لثم أصابعها ثانية قائلاً:

«لقد كنت أود أن أحضر لمقابلتك وأقلك بالطائرة إلى جزيرتنا»

وبدا كأنه لا يستعجل الانضمام إلى باقي أفراد العائلة ثم أكمل حديثه قائلاً:

«ولكن ستيفان رفض ومنعني من أن أحظى بذلك الشرف»

وشعرت كاترين أن لا حق لها في الوقوف في البهو والتحدث إلى نيكولاس، لاسيما أن ستيفان أكد عليها سرعة النزول للعشاء مع الأسرة. لكنها ارتاحت إلى نيكولاس بعفويتها لأن كان شيئاً لطيفاً يبشر بأنهما سيقضيان وقت سعيد معاً ينعمان فيه بصحبة طيبة. ومن ناحية أخرى لم تكن في عجلة للقاء أخيه البكر مرة أخرى.

ثم استطرد يقول وهو يتصنع الجدية وعيناه تنمان عن عكس ذلك:

«إنا نقمة على كل من في الأرض ومن في السماء. هذا ما يقوله ستيفان دائماً. وقد نهاني عن قيادة الطائرة حتى أتعلم المزيد من ضبط النفس»

قال ذلك وهو يشير بيديه بما يدل عليه كلامه.

فابتسمت كاثرين مواسية له. كانت تستطيع أن تتخيل السبب الرئيسي

هذه المحاضرة التي ألقاها عليه أخوه، لكنها تساءلت اذا كان يخضع نيكولاس

لأخيه الأكبر مثل غريغوري؟ إن ستيفان ميتوبوليس لن يتردد فقط في

القبض على مقبض السوط بل لن يتردد أيضاً في استعمال السوط والضرب به إذا

لزم الأمر.

وسألته كاثرين تلقائياً:

«هل تطيع الأوامر دائماً؟»

ولكنها عجبت كيف تجرأت وألقت هذا السؤال الشخصي عليه، وهو شخص غريب لم تره من قبل ولم تقابله إلا في هذه الليلة.

أما نيكولاس فلم يهتم لذلك بل هز كتفيه العريضتين بلا اكتراث وقال:

«من الأوفق إطاعة أوامر ستيفان كما ستتعلمين في المستقبل».

فقطبت حاجبيها وأجابت:

«ليس لدي النية أن أتعلم مثل ذلك».

قالتها بحدة، فاقتراحه هذا فاجأها وكان صدمة قاسية لها جعلتها تتساءل، لماذا يتصرف الجميع كأنها جاءت إلى هذه الجزيرة للبقاء؟

ونظر إلى شعرها النحاسي اللامع وضحك ضحكة هادئة وقال برقة:

«أنت شعلة نار، وربما أمكنك السيطرة على ستيفان ولكن ليس هذا سهلاً. فهو رأس العائلة وسيد الجزيرة، ولن يجرؤ أحد أن يتحداه حتى أنت أيتها المتمردة الحسناء».

ثم أفاقا إلى نفسيهما عند سماع صوت الباب يفتح ويخرج منه ستيفان الذي وقف برهة غاضباً عندما رآهما معاً. مما جعل نبض كاثرين يسرع خوفاً. الأمر الذي اعتبرته شيئاً بالغ الغرابة.ثم قال غاضباً:

«إننا ننتظركما للعشاء. وأنت تعرف هذا جيداً يا نيكولاس».

فرد نيكولاس بلهجة التحدي قائلاً وعيناه تبرقان بخبث إلى كاثرين:

…تقوم بإجراءات التعارف ولم تقصد تأجيل العشاء.

ورد عليه ستيفان:

… تم هذا التعارف فالحقا بنا، أود أن أقدم الآنسة غرانجر إلى باقي العائلة

قبل الطعام.

أجابت كاثرين معتذرة قائلة:

«آسفة لأنني جعلتكم تنتظرونه.

ولكن ساءها أن تعتذر له بلهجة الخضوع، ذلك لأن هذا الرجل يملي على غيره طاعته فيطاع. وعندما التقى نظرها بنظر نيكولاس تذكرت أنها تعهدت ألا تخضع لأوامر هذا الرجل كالآخرين.

«هيا...»

قال ستيفان وتقدمها إلى القاعة. كانت هذه الكلمة كافية لأن تجعل كاثرين تتبعه وخلفها نيكولاس وحين فتح الباب لمحت كاثرين السيدات الثلاث في ملابس السهرة الطويلة، يتحلين بأغلى الجوهرات وهن في قمة الأناقة.

وأدهشها منظر الغرفة كما دهشت لمنظر البهو من قبل، فالغرفة مستطيلة سقفها عال وتنيرها مصابيح كبيرة مشغولة من الذهب المتموج، مما يضفي عليها تلك اللمسة الشرقية التي وجدتها في غرفة نومها من قبل وحازت إعجابها.

شعرت كاثرين كأنها لا تنتمي إلى كل هذه الفخامة، فالأثاث الثمين وملابس النساء الرسمية جعلتها تبدو بثوبها الأصفر البسيط كأنها عصفور الكنار في مكان مليء بالطواويس.

ونظرت السيدات إليها باهتمام وهي تتبع ستيفان، فودت من كل قلبها لو أنها ارتدت ثوباً رسمياً مناسباً. وبدا ستيفان نفسه مهيباً بملابس السهرة السوداء والقميص الأبيض المزركش، وكان بنطلونه الأسود أنيقاً أظهر عضلات ساقيه

الطويلتين بقوة وتناسق.

ووقف ستيفان يقدم كاترين إلى والدته.

كانت كاترين قد سمعت من ماريا أن السيدة ميدوبولس تركية الأصل، ولاحظت أنها سمراء يفوق لونها سمرة أولادها ما عدا ستيفان الذي ورث عن والدته تلك السمات الشرقية ولاحظت كاترين أن شيئاً ما في السيدة ميدوبولس يذكرها بماريا، وأن عينيها السوداوين اللتانين تعكس فيهما نظرة عطف هادئة ارتاحت لها كاترين كثيراً، وكانت تتمتع بهدوء البال والطمأنينة بخلاف بقية أفراد أسرتها الذين يتصفون بالعصبية وحدة الطبع.

أحنت السيدة رأسها إلى كاترين مرحبة وأمسكت بيدها لفترة بينما راحت تتفحصها ثم قالت:

«اشكر لك اصطحاب حفيدي».

قالت ذلك بصوت حاد ولكنة أجنبية واضحة.

وعضت كاترين شفتيها. فلأول مرة تصدمها حقيقة فقدها بول وأليكس وسألت نفسها هل يمكنها التفكير في تركهما بدون أن تذرف الدموع. وردت قائلة:

«آمل أن يكونا سعيدين هنا كما كانا معي يا سيدة ميدوبولس».

ومدت السيدة يديها فجأة وقبضت على يدي كاترين بحنان وقالت:

«لا داعي للشعور بالحزن لمجرد تغيير وطنك يا طفلتي الصغيرة، انا متأكدة أنك سوف تشعرين بالسعادة هنا».

وأعقب ذلك صمت كاد يكون ملموساً نظرت كاترين بعده إلى ستيفان فلمحته يهز رأسه لوالدته وقد بدت عليه إمارات الأسى لا الغضب. ثم عادت تنظر إلى الوالدة فوجدتها غضت نظرها وقالت كاترين:

«سيدتي لا أظن أنك...»

ولكن ستيفان قال لها كي يغيرّ مجرى الحديث:

«تفضلي».

وأمسك بذراعها يقودها بعيداً عن أمه لكن كاترين قاومته لحظة ونظرت إليه عابسة ثم قالت:

«لا أفهم ذلك...»

لكنه قاطعها قائلاً ببرود:

«لقد أخبرتك من قبل أن هناك أشياء يجب مناقشتها معك. والآن تعالي لأعرفك بباقي أفراد الأسرة ولنترك المناقشة لحينها».

ولم يكن في وسعها عمل أي شيء أمام هذا الاصرار، فهي لا تريد أن تسبب إشكالاً. وفجأة رأت نفسها تواجه امرأة جميلة طويلة القامة سمراء لها عينان سوداوان حزينتان بالرغم من الابتسامة التي تداعب شفتيها، وسمعت ستيفان يقول:

«هيلين انها الآنسة كاترين غرانجر، و هيلين زوجة أخي غريغوري، كانت تعرف والدتك».

شعرت كاترين أن هناك معنى وراء تلك العبارة الأخيرة. فردت عليه كاترين قائلة وهي ترثي لحال هيلين:

«ظننت أنكم جميعاً كنتم تعرفون والدي».

وشعرت بالعطف على تلك المرأة لسبب لا تعرفه. فهي جميلة وغنية، ومتزوجة من ذلك الشاب الشهم اللطيف غريغوري، ولم يكن هناك ما يدعوها لأن تعطف عليها إلا لأنها زوجة أخ ستيفان ميدوبولس الذي قال:

«نعم كنا نعرفه جميعاً».

وأبعدها عن زوجة أخيه بالقوة التي أبعدها بها عن أمه. بيد ستيفان التي كانت تقود كاترين إلى افراد العائلة للتعرف عليهم أقلقتها، وودت لو أبعدتها عنها ووضعت صاحبها عند حده، لكن القول شيء والفعل شيء آخر عند التعامل مع شخص مثل ستيفان.

وجاء دور غريغوري فابتسمت له ثم واجهت المرأة التي كانت تحاو
فوجدتها تحمل كأساً نصفها ممتلىء بالمشروب الوطني وتبرق عيناها كلما نظر
إلى ستيفان، وبدت لكاترين متوترة تعسة إلى حدّ ما وتنم قسماتها عن معا
جعلت كاترين ترثي لحالها.

وقدمها ستيفان بصوت بارد ورنة رسمية قائلاً:

«ابنة عمنا ألينا أندرياس».

ورجعت ذاكرة كاترين إلى الوراء عند سماعها ذلك الاسم، فتذكرت أ
ماريا أخبرتها مرة بأن أحد أبناء عمومتهم كان يطمع أن يرى ابنته زوج
لستيفان، وذلك بالرغم من أن ماريا كانت لا تطلع أحداً على أخبار أسرته
لكن يبدو أن تطلعات والد ألينا لم تتحقق، فلم تجد في اصبعها خاتم الزواج
ولاحظت أن ألينا أفرطت في الشراب الشيء الذي أدهشها، فهي تدرك صرام
التقاليد بالنسبة الى العائلات اليونانية نحو نسائها. ولاحظت كاترين أ
نظراتها كانت تتجه دائماً إلى ستيفان وأن اليد التي أخذت يد كاترين
كانت ترتعش.

كان على كاترين أن تنهي هذا التعارف بسرعة ومرة ثانية كانت ي
ستيفان توجهها نحو الباب وهي تتبع بقية أفراد الأسرة. وعندما جاء دو
نيكولاس إستوقفه ستيفان قائلاً:

« نيكولاس اصطحب كاترين معك وأرجو أن تتذكر أنها ضيفة علينا».

فرد عليه نيكولاس وقد بدا وميض ضحكة في عينيه:

«بكل تأكيد».

وابتسم نيكولاس لها ثم غمز ومد ذراعه فتأبطته وهو يقول هامساً:

«هل ندخل إلى العشاء؟»

ولولا وجود نيكولاس بجانبها لما أمكنها إحتمال فترة الطعام فقد أرعبها كل
ما كان يحيط بها من فخامة وترف حتى أنها تنفست الصعداء عند انتهاء الطعام

بالفاكهة الطازجة اللذيذة.

وبينما كانت تبتلع ثمرة الفاكهة الأخيرة شعرت كاترين بيد نيكولاس
السمراء تضغط على يدها، ووجهه يقترب من وجهها ويبتسم لها ابتسامة
خاصة تنم عن شقاوة كامنة وخفة روح محببة إلى النفس وهو يقول لها هامساً في
أذنها:

«هل تتنزهين معي في الحديقة بعد العشاء؟»

وبحركة لاشعورية نظرت إلى أخيه البكر الذي سبق أن حذره أنها ضيفة
عندهم.

ولكن نيكولاس لم يكن متحفظاً مثل ستيفان، ولم يحاول إخفاء المعاني
الكامنة وراء أقواله، فدعوته لها تفصح عما يكنه لها من إعجاب. فقال لها:

«ضوء القمر جميل جداً في الخارج».

لكنها ردت عليه قائلة:

«بكل تأكيد. ولكني لن أذهب لمجرد النزهة. ستيفان قال أن هناك أشياء يود
مناقشتها معي بعد العشاء».

هزّ نيكولاس كتفيه بحركة تدل على عدم الاهتمام بأخيه الصارم وقال:

«لا تهتمي بستيفان فهو يعرف أين يجدك عندما يريد ذلك».

غادر الجميع المائدة ووقفوا يتحدثون بلغتهم اليونانية تاركين كاترين
ونيكولاس فابتسمت له قائلة:

«ربما أمكنني الخروج معك قليلاً إلى الحديقة والتنزه في ضوء القمر».

وكانت ابتسامته دليلاً على أنه كان يتوقع منها ذلك اذ تعوّد أن يملي إرادته على
الجنس الآخر فيطاع.

تأبط ذراعها وقرّب وجهه الأسمر من وجهها، كلما مال عليها ليكلمها برقة. ولم
تر كاترين جمالاً مثل جمال تلك الليلة. توسط السماء قمر أصفر كبير يطل على
بحر لونه بنفسجي غامق، وبدت الأشجار الداكنة وكأنها «دانتيل» تشف السماء

المضيئة من ورائها، وكان عبير الياسمين وغيره من الزهور يعبق في الجو الساكن.
كل ذلك جعل الجو مشحوناً بالخطورة في صحبة ذلك الشاب الساحر نيكولاس
ميدوبوليس. وسارا خلال الأشجار الكثيفة حيث سادت الظلمة. وكان القمر
يطلّ عليهما من كل ثغرة بين الأغصان المتشابكة. البحر يحيط بهما وتتنهد
أمواجه الهادئة عند لمسها الشاطئ، الذي كان يصل إلى حافة الأشجار.

وكان جمال الحديقة رائعاً جعل كاترين ترغب في البكاء لكن لم يكن وحده
السبب اذ كانت تشعر بالتعب وبالعواطف المتباينة بعد كل ما مرّت به خلال
ذلك اليوم الطويل المشحون بالتغيير الشامل.

وكانت فرصة وجودها في هذا المكان الجميل وبصحبة ذلك الشاب الجذاب
شيئاً تمتن له. لكن في الوقت نفسه كان تسليم أخويها أليكس و بول إلى
وليّ أمرهما الجديد شيئاً لن تقوى على احتماله.«هل أنت حزينة؟»

سألها نيكولاس هامساً. فهزت رأسها نافية مع أنه كان يعلم مدى تألمها
للافتراق عن أخويها. ثم قالت وهي تبتسم:

«كيف أكون حزينة وأنا محاطة بكل هذا الجمال الذي لم أحلم بمثله».

فابتسم ولمعت أسنانه البيضاء وقال وهو يطمئنها:

«ستطيب لك الحياة هنا».

عبست كاترين لسماعها لهجة التأكيد هذه، كأنه اعتبر بقاءها معهم مثل
الطفلين قضية مسلماً بها، فقالت:

«لا أفهم لماذا تفكر أنت والسيدة ميدوبوليس أنني سوف أبقى هنا».

ونظرت إليه وشعرت بتوتر ذراعه التي كانت تسندها.

« نيكولاس!»

وسمعت كاترين صوتاً معروفاً جعل قلبها يخفق خوفاً لوصول صاحبه
فجأة، فالتفت نيكولاس إليها وقد بدا منزعجاً لأنه أدرك أن احتكاره لها وصل
إلى النهاية. ثم قال وهو يضحك:

...رأيت؛ سبق أن قلت لك إنه سوف يجدك عندما يريد ذلك».
...رغب في محادثة الآنسة فرانجر على انفراد».
قال ستيفان من غير أن يرى مبرراً لمشاورة كاترين في الأمر. فضغط
نيكولاس على ذراعها وابتسم وقال لها:
سوف أراك ثانية يا كاترين».
نظرت كاترين إليه وهو يأخذ طريقه عائداً إلى المنزل، وشعرت بالأسف
ليس فقط لأنها حرمت من صحبته اللطيفة ولكن لأنها أيضاً كانت تخاف
ستيفان والبقاء معه بمفردها. ولم تفكر لحظة أنه قد يتقرّب منها كما كان يفعل
نيكولاس لكنه كان يشعرها بالضآلة وعدم الارتياح معه، وكانت عواطفها
...تقلقها. وسمعته يسألها بهدوء:
«هل تفضلين الرجوع إلى المنزل للتحدث هناك؟»
واستغربت كاترين أن يشاورها في الأمر، فردت عليه وقد حبست أنفاسها
وهي لا تصدق أذنيها:
«لا. لا. هذا شيء لا يهم إطلاقاً».
وظل لحظة ينظر إليها بعينيه السوداوين اللامعتين في الضوء الأصفر ثم
سألها في صوت هادئ:
«هل تعدى أخي حدود اللياقة معك؟»
فهزت كاترين رأسها قائلة:
«طبعاً لا. لا».
ارتسمت على فمه الواسع المستقيم ابتسامة وكأنه وجد ردها السريع مضحكاً
ثم قال:
«إنك لا تعرفين نيكولاس جيداً وإلا ما نفيت هذا الاتهام بشدة».
ونظرت كاترين إلى الجهة الأخرى وبدا شعرها في ضوء القمر غامقاً كشعره
وقالت برقة:

«نيكولاس يروق لي، فهو رفيق معي دائماً».

ورد بهدوء:

«نعم... لأنك امرأة شابة وجميلة جداً. والآن لنبدأ في مناقشة المسائل التي يجب البتّ فيها».

واستدارت كاترين ونظرت إليه مرة أخرى وهي تأمل لو تماسكت ولم تبك لبقاء الطفلين في كنف ذلك الرجل ثم قالت:

«ليس هناك ما نناقشه يا سيد ميتوبوليس».

«بل أظن العكس».

ثم أدارها حتى تواجه البحر الذي راح يهمس إلى الشاطىء بأمواجه المتدفقة بهدوء على الرمال. وغشتها لحظة شعرت فيها بسحر المكان الذي هدأ من نفسها ولكنه أثارها في الوقت نفسه ثم قالت له:

«إذن نبقى هنا. إذا كان هذا لا يضايقك وإذا شعرت...»

الواقع أن التعب الذي نالها وفكرة تسليم الولدين لهذا الغريب القاسي كان أقوى مما تتحمله. فعضت شفتيها وغطت نظرها سحابة من الدموع فسألها ستيفان:

«ماذا شعرت آنسة غرانجر؟»

ولم يبد في صوته نفاد الصبر الذي كانت تتوقعه فمسحت كاترين عينيها ورفعت رأسها. كانت قد أقسمت ألا تبدي أي تأثر عندما يحين الوقت لتسليم الصبيين، وكان في وسعها أن تحفظ ذلك القسم لولا إصرار ستيفان على مناقشة الموضوع بإسهاب وبكل تفاصيله.

«هل تبكين يا آنسة غرانجر؟»

سألها ستيفان هذا السؤال بصوت هامس ونظر في عينيها فرأى الدموع تملأهما. وشعرت بأنفاسه الحارة تلهب خديها فقالت له:

«أقسمت ألا أبكي أبداً، ويحسن أن أحزم حقائبي وأرحل بدون أن أنظر خلفي».

فرد عليها بهدوء قائلاً:

«كل هذا لا ضرورة له».

نظرت إليه كاترين بسرعة ووجدت قسماته أكثر قسوة في ضوء القمر الأصفر الكبير، وعينيه السوداوين العميقتين بلا قاع كالليل نفسه فهو رجل لن يفهم عواطفها، وحتماً سوف يحتقرها إذا ضعفت وبكت وأظهرت أي نوع من العواطف.

ثم قالت له بصوت ضعيف ينمّ عن مدى تأثرها وفرط انفعالها:

«إنني أحب أليكس و بول، ليس كأخوين فقط بل لأنني ربيتهما خلال السنوات الأخيرة، وأشعر أنهما طفلاي. انهما قطعة من نفسي ولا يمكنني الانفصال عنهما».

«إذن لماذا تفكرين في تركهما؟»

وطرفت عينا كاترين لحظة وتساءلت... ترى هل تحلم أو أنها لم تسمع كلماته جيداً فهو حتماً لا يعني ما قاله لها! وقالت بصوت مختلج:

«لا أفهم شيئاً».

«أظن أن عائلتي أوضحت لك ذلك بما فيه الكفاية».

وشعرت أن صبره ينفد، ثم ابتعد عنها واستند على أحدى أشجار السرو النحيلة التي بدت داكنة تحت سماء الليل. وقال:

«قررت أن تبقي أيضاً معهما هنا حتى – حتى يتعودا على الحياة».

وكانت كاترين تعلم في قرارة نفسها أنه يعني شيئاً آخر ولكنها لم تجرؤ على الجهر به. فخفق قلبها ولم تدر تفسير ذلك. هل هو الأمل أم التوتر أم المخاوف من أشياء أخرى. وسمعته يقول بطريقته الواقعية الهادئة:

«أعلم أنك وحيدة في الحياة لا أهل لك. وأنت صغيرة لا يليق بك أن تعيشي بمفردك في العالم، ولذلك سوف تعيشين هنا مع أخويك».

وهزت كاترين رأسها ولمعت عيناها الخضروان الواسعتان وهي تنظر إليه

وتقول في صوت هامس:
«ولكن هل تقصد أن تكون ولي أمري أيضاً؟ هذا لا معنى له».
وبعد لحظة وافق قائلاً:
«طبعاً هذا لا معنى له. ولكنك تحتاجين إلى منزل يؤويك وعلى حد قولك إنك مثل الأم لأخويك. فإن أبسط حلّ هو أن تبقي معهما هنا وسوف تعنى بك مما يجعل الطفلين يسعدان. رتبت الأمر لاحضار باقي أمتعتك. وسوف تجدين الحياة هنا طيبة كحياتك في لندن وربما أسعد منها».
فنظرت إليه كاترين وهي لا تقوى على تصوّر مدى التغيير الذي سيطرأ على حياتها إذا عاشت بين أفراد عائلة ميديوبوليس. ولماذا فكر ستيفان أنها بحاجة إلى من يعنى بها كأنها طفلة صغيرة مثل الصبيين. ثم هزت رأسها وقالت:
«لست متأكدة من قبول هذا الوضع».
فقطب حاجبيه وقال:
«لا أرى أية مشكلة في ذلك».
وسارت قليلاً على الشاطىء، وتسرّب الرمل الناعم الدافىء الى حذائها المفتوح. نعم سوف تواجه مشاكل كثيرة أولها نيكولاس اذ سبق أن حذره ستيفان ونصحه بالاحترام في معاملتها، وكان واضحاً أنه لن يسمح بأي تطور في علاقتها، الأمر الذي يكاد يكون مستحيلاً إذا بقيت معهم.
ثم التفتت إليه مرة أخرى وهو ما زال مرتكزاً على شجرة السرو بقامته الطويلة النحيلة، فبدا متزناً متنبهاً مثيراً هناك في ضوء القمر كتمثال أسمر عملاق. مما جعلها تظن أنه هو الآخر سوف يكون سبباً يمنعها من البقاء معهم والعيش في كنفهم. ثم قالت وهي تتنهد وترفع يديها إلى وجهها:
«يسعدني أن أبقى هنا مع الصبيين».
ولاحظت ابتسامة خاطفة على وجهه كشفت عن أسنانه البيضاء عند اعترافها بهذا التسليم. وقال لها:

ليس هناك ما نناقشه بعد ذلك».
ثم ترك الشجرة ووقف منتصباً وقد بدا أطول بكثير في الظلال المتحركة، وعيناه تبرقان كالفحم في ضوء القمر. وكانت تفترض أن ينتظرها لترافقه إلى المنزل. ولكنها شعرت فجأة في تلك اللحظة بذلك الاحساس الغريب بأنها قد سبق لها رؤيته من قبل فسألته:
«أين رأيتك قبل اليوم؟»
قالت ذلك بصوت هامس حائر وهي مترقبة رده. فلم يرد لتوه بل وضع يده في جيبه وأخرج سيكارة أخذ يشعلها بتمهل ثم رد عليها قائلاً:
«لم أتوقع أنك سوف تذكرينني. ففي العام الفائت كنت في صحبة بعض الزائرين لمتحف الآثار الاغريقية في برمنغهام، أليس كذلك؟»
«نعم بكل تأكيد».
وفجأة انجلت لها الحقيقة ولكن عجبت كيف ظلّ يذكرها إلى الآن.
«ذهبت مع صديقة لي إلى المتحف تاركة أخوي في رعاية والدتها».
«وكنت قد أعرت المتحف بعضاً من قطعي الفنية. وأذكر أن قدمك زلت وكدت تسقطين على السلم».
وأومأت كاترين برأسها. وتذكرت تلك السواعد القوية التي أسرعت بمنعها من السقوط على سلم المتحف الرخامي وتلك السمات السمراء القوية للرجل الذي ظل يمسك بها إلى أن استعادت توازنها. وتذكرت مداعبة صديقتها لها بأنها لم تستغلّ تلك الفرصة. ونظرت كاترين إليه وتضاربت مئات الأحاسيس المختلفة في رأسها ثم قالت:
«لم أكن أعرفك وقتئذ».
وقال برقة:
«ولا أنا».
وخفق قلب كاترين فجأة وهي تتذكر نظرة التردد والتساؤل التي استقبلها

بها في أول لقاء لها في بهو المنزل. ثم جازفت بسؤاله:

«هل تذكرتني عند وصولي؟»

وأومأ قائلاً:

«لي ذاكرة قوية لكل الوجوه التي أراها، كما أن لون شعرك شيء يميزك دائماً».

فابتسمت وقالت:

« انكلترا مليئة بأعداد هائلة من ذوات الشعر الأحمر».

«ربما كان ذلك صحيحاً».

ثم أمسك بذراعها ليصطحبها إلى المنزل مخترقاً الأشجار الكثيفة، وشعرت بأطراف أصابعه تلمس جلدها برقة واستطرد قائلاً:

«ولكن ليس شعرك الأحمر فقط هو الذي يميزك يا آنسة غرانجر».

ولكن كاترين لم تحاول الوصول إلى ما يعنيه، فلمسة أصابعه على ذراعها كانت أكثر إثارة من ضغط نيكولاس، ولذلك سألت نفسها مرة أخرى هل من الحكمة البقاء معهم هنا دائماً؟

٣ ـ الجواد العربي

وجدت كاترين أن الحياة في منزل عائلة ميدوبوليس مثيرة للغاية بالرغم من بعض المتاعب المترقبة التي لم تحسب لها أي حساب. ومن الواضح أن طرأ على حياتها تغيير شامل في كل ما اعتادت عليه من قبل. كانت مثل الولدين منطلقة شغوفة بحياتها الجديدة. وشعرت كأنها تمضي عطلة تروّح فيها عن نفسها، وتشارك الطفلين سعادتهما وفرحهما. وكان الصغيران يضحكان ويثرثران بلا انقطاع وهما سعيدان بمنزلهما الجديد وحياتهما الجديدة.

وشعرت كاترين أن كاسيا ظنت أن مساعدة كاترين لها في العناية بالطفلين قد يكون فيها بعض الحرج، لكنها لم تتخل عن واجبها المعتاد نحوهما. فهما يحتاجان اليها الآن أكثر من أي وقت آخر حتى يشعرا أنها في بيتهما وأنها لا تنوي التخلي عنهما أبداً.

«ستقابلان جدتكما هذا الصباح».

أخبرت كاترين الولدين بذلك وهي تمشط شعر بول الذي التفت إليها

وقد بدا القلق في عينيه الكبيرتين السوداوين وقال وهو يقطّب حاجبيه:

«هل هي لطيفة؟»

قال ذلك بجرأة وصراحة، وألقت كاترين نظرة سريعة إلى المرأة اليونانية كاسيا لترى إذا فهمت السؤال. لكن لم تظهر أي إشارة من كاسيا تدل على أنها تعرف الانكليزية، بل كل ما سمعته منها كاترين كان بضع كلمات يونانية. لكنها كانت دائمة الابتسام سعيدة بمسؤوليتها الجديدة فخورة بالطفلين مما جعلها يطمئنان إليها بعدما كانا ينفران منها ويبتعدان عنها و يصرّان على التعلق بكاترين. ورأت كاترين أن هذه علاقة طيبة ارتاحت لها.

فردت كاترين عليه قائلة وهي تحاول أن تطمئن بول:

«إنها لطيفة جداً. فقد قابلتها ليلة أمس ووجدتها سيدة رائعة وسوف تحبانها».

«وهل هي ألطف من جدتنا سيمونز؟»

ولم تستطع كاترين أن تخفي تقطيبة الأسف التي بدت على وجهها، اذ كانت الجدة سيمونز جدتها لوالدتها وهي الوحيدة التي عرفها الطفلان. وكانت ساخطة على والد كاترين لزواجه ثانية حتى أنها كرهت طفليه أيضاً لذلك السبب. فردت كاترين وهي تبتسم وتطمئن الصغيرين:

«إنها ألطف بكثير من الجدة سيمونز».

فسألها أليكس بينما كانت كاسيا تمشط شعره بشدة:

«وهل ستحبنا؟»

هذه المرة ردت كاسيا بصوت رقيق فيه لكنة قوية ذكرت كاترين بلكنة السيدة ميدوبوليس التي كانوا يتحدثون عنها، وقالت وهي تبتسم وتعد الطفلين بمحبة جدتهما:

«جدتكما ستحبكما كثيراً».

ثم أضافت كاسيا قائلة:

«عاشت سنوات طويلة تتمنى حفيداً لها...»

ابتسمت كاترين وهي تشعر ببعض التقارب تجاه هذه المرأة ثم قالت:

«والآن جدة لها حفيدان مرة واحدة. وعليكما أن تكونا مؤدبين جداً عند مقابلة جدتكما الجديدة».

فأشارا برأسيهما لكنهما لم يرتاحا، وخاصة أليكس، لمقابلة عدد من الأشخاص الجدد دفعة واحدة. وقنت كاترين ألا ترهق الطفلين بذلك. كما فكرت أن ستيفان لن يوافق على بقائها قربها دائماً وإخفاء وجهيهما في ثوبها مرة ثانية. ثم شعرت كاترين بالتفاؤل وهي تنظر إليهما طويلاً وتتفحصهما لترى ثمرة عنايتها وعناية كاسيا بهما واهتمامها بمظهرهما. ثم أخذت كاترين يديهما في يديها وقالت:

«هل ننزل الآن لتناول الافطار؟»

وللمرة الثانية أشارا بالاطاعة ، ووقفت تراقبهما وهي فخورة بهما، وكانت تبتسم ببعض عبارات بلغتها اليونانية. فودت كاترين لو كسبت كاسيا إلى جانبها لتسهّل لها الأمور وتمهد لها الطريق. اذ كانت واثقة أن هذه المرأة لها مكانتها عند ستيفان، وفي وسعها مساعدة الطفلين كثيراً في العبور إلى حياتهما الجديدة بسهولة. فقد أقلقتها فكرة عدم رؤيتهما غالباً في المستقبل، وكم جفاها النوم بسبب تلك الليلة الفائتة. وعندما أوت إلى فراشها السابح في ضوء القمر كانت تفكر وهي لا تصدق في اقتراح ستيفان ان تبقى في الجزيرة. إذ لم يعتبره اقتراحاً بل تكلم عن الموضوع وكأنه رسم خطة ونفذها... وقال أن أمتعتها في طريقها من انكلترا. ذهلت عندئذ فلم تقو على الاحتجاج!

وهناك الكثير يجب البتّ فيه عندما تمالك شعورها وتستطيع أن تعي معنى وجودها تحت سقف وحماية ستيفان والعيش في كنفه. في اي حال يمكنها أن تعتبر بقاءها معهم فترة ترويح عن النفس تقضيها ثم تذهب لحالها، مهما تعارض ذلك مع ما يدور في خلد ستيفان.

وكان طعام الافطار معداً على مائدة تظللها أغصان محملة بزهور بنفسجية

اللون. ووجدت أربعة من أفراد الأسرة سبقوها للجلوس هناك لكنها لم تر أ
لستيفان مما جعلها تتنفس الصعداء وترتاح لعدم وجوده.

تصادف دخولها وأخويها مع دخول أحد الخدم يحمل صينية خبز ساخن وزبـ
وقهوة فاحت رائحتها الشهية فتنبهت كاترين لمدى جوعها.

وهبّ غريغوري و نيكولاس واقفين ثم أسرع نيكولاس يشـ
مقعداً لها بجانبه وهو ينظر بعينيه السوداوين إلى ثوبها الأصفر الفاتح ويقو
بإعجاب:

«صباح الخير يا كاترين، إنك تبدين جميلة هذا الصباح».

ومن العجب أنه لم يهتم بأليكس أو بول، فهو لم ينظر إليهما ولـ
يتحدث معهما. ولاحظت كاترين أن نيكولاس يهتم فقط بالذين يهمـ
أمرهم، فهما مجرد ولدين صغيرين لا يهمانه في شيء، ولذلك أهمل وجودهما وتجاهل
حضورهما.

ويبدو أن غريغوري راقه كذلك مظهرها برغم أن إعجابه كان أكثر تحفظاً
من إعجاب أخيه. أما هيلين زوجته فحيّتها بإيماءة صامتة من رأسها ونظرت
إليها بفضول ولكن سرعان ما اشاحت بصرها.

ولم تأبه كاترين بدعوة نيكولاس للجلوس الى جانبه، وقادت الولدين
إلى حيث جلست جدتهما في طرف المائدة الآخر، وتفحصت الجدة الولدين لكنها
وجهت أولاً الحديث إلى كاترين كما يحتم الأدب ذلك قائلة:

«هل كان نومك هنيئاً يا آنسة غرانجر؟»

وقالت كاترين وهي تبتسم:

«نعم وأشكرك يا سيدة ميدوبوليس فإن غرفتي جميلة ومريحة.

«أنا سعيدة بذلك».

وأعربت السيدة العجوز عن سرورها وقالت مؤكدة مرة أخرى:

«يسرني أنك تجدينها مريحة».

ثم التفتت الى الولدين فقدمتهما كاترين قائلة وهي تحثهما على الاقتراب
من جدتهما:

«هذا هو الكساندر يا سيدتي. أليكس... جدتك، السيدة ميدوبوليس».

فقام أليكس بالتحية ووضع يده في اليد التي امتدت إليه لكنه قاوم
رغبتها في جذبه إلى جانبها. وبسرعة قدمت كاترين بول إلى جدته وكان
بول أكثر جرأة عند مقابلة الغرباء فأخذت يده وهزتها محيية ثم جذبته بقربها
وعانقته بذراعيها. وكانت لحظة مؤثرة بالنسبة الى جدتهم، لاحظت كاترين
أن الدموع تملأ عينيها السوداوين بينما وقف الولدان بجانبها لأول مرة يسمعانها
تهمس بكلمات في لغتها الأصلية. وبعد برهة أحاط بول جدته بذراعه وراح
ينصت إلى تلك اللغة الغريبة باهتمام. بينما تنهدت كاترين ارتياحاً. وإذا كان
بول مستعداً لتقبل عائلته الجديدة فسرعان ما يحذو أليكس حذوه كعادته
دائماً.

وكان نيكولاس يتوقع أن يستمتع بصحبة كاترين باقي النهار لكنه
صدم عندما أبلغته أنها تنوي التجوّل في الجزيرة مع الولدين لاستكشافها،
فخاب أمله وصمم على البحث عن تسلية أخرى بدلاً من مرافقتهم، مما أثار حزن
كاترين فهي تراه شاباً جذاباً جداً، وكانت تتمنى أن تكمل ما بدأه الليلة
الماضية من صحبة مرحة ووقت جميل.

اتخذت كاترين والصبيان الطريق الذي يبدأ من خلف فيللا ميدوبوليس
ثم يتعرج بعد ذلك، وكان ثوبها الأصفر القصير يعد ثقيلاً في أشعة الشمس
الحارة، وودت لو أحضرت معها قبعة. أما الصبيان فكانا سعيدين يجريان
ويمرحان وهما يشعران أنهما في بيتهما، وكان من الواضح أنهما تأقلما بسهولة لم
تتوقعها.

كانت جزيرة داكوليس مطوقة بالمياه طبعاً لكن هناك بعض المواقع يخيّل
لمن فيها أن البحر يبعد عنها مسافة أميال. وقد تأكد لكاترين ذلك عندما

وصلوا فجأة إلى مكان مكشوف بين الأحراش والأشجار الكثيفة. كانت الأشجار بزهورها الجميلة وروائحها الزكية منها النخيل والبرتقال والليمون، كالأشجار المزروعة على جانبي طريق المطار وكان المكان بزهوره وألوانه وروائحه المختلفة يوحي إليها أنها في جنة غريبة تنسيها الزمان والمكان.

ثم أفاقت كاترين ونظرت إلى ساعتها وهي تتعجب أنه يمكن لأي إنسان أن يتوه في جزيرة صغيرة كهذه بسهولة.

لم تكن داكرليس جزيرة صغيرة كما تخيلت، مما جعلها تفكر في حجم ثروة آل ميدوبوليس الخيالية، فهم يملكون جزيرة أخرى غير هذه الجزيرة الجميلة.

ونادت على الصبيين، وكانت مصممة على الرجوع قبل أن تتوغل في الجزيرة فتضلّ الطريق، لكنهما ألحّا في البقاء لاستكشاف الأشجار التي تحيط بتلك الرقعة المكشوفة، وكعادتها لم ترفض لهما ذلك الطلب وجلست على الأرض الناعمة الدافئة تنتظرهما.

لم تحضر كاترين نظارة كما لم تحضر قبعة تقيها أشعة الشمس ولذلك أغمضت عينيها لتتلافى الضوء الشديد، واستندت على يديها وألقت برأسها إلى الوراء فانساب شعرها الأحمر النحاسي على كتفيها. وكان المكان هادئاً يتخلله حفيف الأشجار وأصوات مبهمة من النباتات المحيطة به.

كان المكان رائع الجمال ولا مشاكل تقلقها هنا. كما أن الطفلين سعيدان في مكانهما الجديد، ولأول مرّة ودت البقاء الدائم هنا.

ثم فتحت عينيها فجأة وتنبهت الى ان أصوات الولدين لم تعد جزءاً من الأصوات المحيطة بها، فهبّت واقفة ونظرت حولها وقلبها يخفق بلا سبب لا تظن أن هناك أي خطر عليهما في هذه الجنة الهادئة، مع ذلك نادت:

«نيكس! بول!»

كان صوتها ضعيفاً في ذلك الفضاء، وخفت نهائياً عند حافة الأشجار. فإذا كان الصبيان ابتعدا مسافة كبيرة لن يمكنهما سماعها. تملّكها الخوف لحظة فالبحر

قريب والأطفال عادة يتهورون عند تركهم على سجيتهم.

لم تغفل كاترين سوى برهة، لكنها كانت كافية ليخترقا الأشجار إلى الطريق ومن هناك إلى البحر بإغرائه وجاذبيته. ورأتهما كاترين قبل أن تغمض عينيها يجريان ويختفيان بين الأشجار الموجودة على الجانب الآخر من الرقعة المكشوفة التي تجلس على رمالها. وبدون تردد هرعت عبر الأرض الناعمة، يشدها القلق في عينيها وأخذ قلبها يخفق بين ضلوعها.

وزادت ضربات قلبها فجأة عندما كادت تصدم بجسم ظهر من ظلال الأشجار، فأطلقت صيحة لاشعورية وغطت فمها بيدها وتراجعت وهي لا تقوى على حفظ توازنها. كان ستيفان مهيباً بقامته الطويلة فكيف وهو يمتطي جواده الأسود العربي. نظرت إليه كاترين بعينين بدا فيهما شيء أقرب إلى الخوف وهو يمسك اللجام بقوة. كانت قسمات وجهه اليونانية تبدو في ضوء النهار أكثر صرامة وصلابة. وخفق قلبها أكثر وهي تتصور ردة فعله لو عرف أنها سمحت للصبيين بالتوغل وحدهما في الجزيرة.

«كاترين!»

نطقها ستيفان، وتساءلت كاترين عن السبب الذي جعله يناديها باسمها فجأة، هل هو موافقتها على البقاء معهم أم أن المفاجأة أدت إلى هذه الألفة؟

وكان قوامه الطويل المستقيم وهو جالس على الجواد الجميل رائعاً، فبدا كأنه شجاع مغوار! نسيت كاترين خوفها على أخويها لحظة وحلّ محل الخوف شعور قلقها تجعل نبضها يسرع في عروقها والدم يصعد إلى وجنتيها.

وكان ستيفان يرتدي بنطلوناً عاجي اللون ضيقاً وجزمة بنية، أما قميصه فكان عاجي اللون أيضاً شفافاً يطبق على جسمه ويظهر كل حركة من حركات عضلاته وكان ينظر إلى كاترين وقد ظهرت تقطيبة طفيفة بين حاجبيه الداكنين فتذكرت بسرعة اختفاء أخويها وقالت له:

«يبدو أنني فقدت الولدين».

سألها: هل فقدت الولدين!»

وأومأت كاترين وقد بدا عليها الحزن فازداد وجهه عبوساً واستطرد قائلاً:

«لا بد أن تجديها في الحال. كانت حماقة منك أن تتركيهما يبتعدان عنك».

وترجل برشاقة عن الجواد ونظر إليها بصرامة. فقد كان عليها مراقبة الولدين خصوصاً في ذلك المكان الغريب. وهي تلام أشد اللوم إذا أصيبا بأي مكروه لكنها لم تستسغ ذلك الأسلوب الذي اتخذه للومها وظهر الامتعاض على وجهها.

«ألا تعرفين أن الشاطئ.. على هذا الجانب من الجزيرة صخري خطير لا يقوى عليه أي سباح ماهر ولا فرصة لنجاة طفلين صغيرين إذا فكرا في الذهاب قريباً من البحر».

واعترفت كاترين قائلة:

«لم أكن أتصور أننا قرب البحر. خيل إليّ أننا نبعد عنه بضعة أميال».

قال ستيفان وقد بدا أنه يحتقر قلة معلوماتها:

«المرء يكون دائماً قريباً من البحر في جزيرة بهذا الحجم. تعالي نبحث عنهما في الجانب الجنوبي أولاً».

«اذهب أنت في ناحية وأتخذ أنا الجهة الأخرى».

اقترحت عليه كاترين ذلك حتى لا تكون في صحبة رجل كان واضحاً أنه يعتبرها بلهاء مهملة. ومرة أخرى أدانت العينان السوداوان قلة معرفتها وقال ستيفان:

«لا فائدة من ذلك. أتيت تواً من الجهة الشمالية ماراً بكل الشاطئ، فلم أر لهما أثراً. تعالي فإننا نضيّع الوقت».

واعترضت كاترين قائلة:

«أنا متأكدة أنهما لم يبتعدا كثيراً فقد أغمضت عيني برهة قصيرة فقط».

نظر إليها ستيفان بينما شقا طريقهما داخل الأشجار وقال:

«هكذا! هل كنت تنامين في الشمس وتتركين أخويك بدون مراقبة؟»

وزمّ فمه الواسع المستقيم واستطرد قائلاً:

«من الطبيعي ألا أسمح لك بالخروج معهما بعد اليوم لأنك لم تتعهديهما بعنايتك».

فلمعت عيناها بالغضب وهي تحث خطاها لتلحق به، وتتنفس بصعوبة. واعترضت بحدة قائلة:

«ليس لك الحق أن تتهمني بالاهمال، اعتنيت بهما أكثر من ثلاث سنوات ولن يمكنك منعي من أخذهما معي إذا أردت ذلك».

وارتفع حاجب أسود وأدار رأسه لينظر إليها وقد زمّ فمه بصرامة وقال:

«ستَرين أنه يمكنني منعك. فأنا الوصي الشرعي عليهما، وإذا قلت إنك لن تخرجي معهما بعد اليوم فهذا ما سيحصل ـ هل تفهمين؟»

وردت كاترين بسرعة وقد بدا الغضب في عينيها الخضراوين:

«لكنك لست الوصي عليّ أنا. وإذا أردت أن أتحداك لن تستطيع أن تفعل شيئاً».

توقف عن السير فجأة والتفت ينظر إليها بغضب مما جعلها تشعر برجفة في ظهرها، ورعشة غريبة في أطرافها وقال بهدوء خطر:

«أستطيع أن أفعل الكثير يا كاترين كما سوف ترين وذلك إذا نفد صبري. وليس هناك من يتحداني ويهرب من عقابي. وأنا أحذرك حتى تسير الأمور بسهولة ويسر».

«لن يجبرني أحد على البقاء على جزيرتك الملعونة».

وبدا تحديها هذا صبيانياً حتى في نظرها، وشعرت بالخجل عندما لاحظت ابتسامة خفيفة ظهرت على ركن فمه عندما شعر أنها تتحداه.

ثم قال لها بهدوء وهو يخطو بين الأشجار:

«أنت غير مجبرة على البقاء هنا بالطبع. يمكنك العودة إلى انكلترا متى شئت لكنني أعتقد أنه يصعب عليك تفسير سفرك الفاجئ، إلى أخويك. فهما لن يجدا لذلك سبباً، ولا أنت أيضاً».

لم تجب كاترين ولو أنها كانت تود أن تقول الكثير لكنها لزمت الصمت

الذي كان يدل على تحديها له واستيائها من أسلوبه. وكانت تحاول أن تلحق به وهو في طريقه بين الأشجار ليخرج إلى الطريق. فلم يكن الزمان أو المكان مناسبين للدخول في أمور شخصية.

وكان المكان جميلاً. فألوان الزهور ورائحتها الزكية والتفاف الأشجار جعلت عراكهما أشبه بجريمة لا تغتفر. كل هذا الجمال يملكه هذا الرجل الذي يمشي أمامها بقامته الطويلة القوية. وجسمه القوي يبدو بدائياً منطلقاً كالنباتات حولها.

وفجأة ظهر الطريق أمامهما ومن ورائه مياه البحر الزرقاء الرقراقة. ولم يكن البحر في تلك البقعة ينساب بهدوء مثل انسيابه بجانب المنزل. بل كان يهدر متلألئاً عند اصطدامه بالصخور الرمادية التي تكوّن الشاطىء في هذا المكان.

وتجمّد الدم في عروق كاترين عندما رأت خطورة المكان على الأطفال أمثال أليكس و بول اللذين لم يتعودا هذه الجهات، وأدركت أن ستيفان كان على حق عندما روّعه إهمالها في ترك الطفلين يبعدان عن نظرها.

وصاح ستيفان يقول:

«أراهما!»

وكانت كلماته قليلة ومختصرة لكنها جعلت كاترين تتنفس الصعداء عندما سمعت أصواتهما وودت لو هرعت إليهما وهمت تناديهما لولا يده التي امتدت وأمسكت بذراعها بعنف فأسكتت صيحتها وشلت حركتها. ونظرت إليه متسائلة فرد عليها قائلاً بلهجة صارمة:

«انتظري هنا. سأذهب لاحضارهما»

«ولكن...»

«انتظري هنا»

وكان هذا الأمر كافياً لامتثالها، لكنها كانت تميل إلى تحديه أو على الأقل إلى أن تتبعه وهو يمشي مسرعاً نحو الشاطىء الصخري إلى حيث يوجد الطفلان. وكانا يتسلقان الصخور الخطرة التي تبعد عن كاترين و ستيفان بنحو

خمسين قدماً بدون أن يلاحظا قدوم كاترين أو ستيفان.

وبعد برهة رأى الطفلان ستيفان وعرفاه فتسمرا في مكانهما عندما لاحظا غضبه وشعرا أن هذا الغضب منصبّ عليهما، ولم يكونا قد عرفا بعد مدى سلطة ستيفان عليهما، ولكن كاترين اعتقدت أنهما سرعان ما سيعرفان ذلك.

ولم تسمع كاترين ما قاله ستيفان لهما لبعد المسافة لكنها رأتهما يتسلقان الصخور ويهبطان من القمة إلى حيث وقف ستيفان ليساعدهما. ورأته ينحني و يكلّم كل طفل على حدة ورأت الطفلين يحنيان رأسيهما طاعة له. ثم امتدّ نظرهما فوقع على كاترين.

وأسرع بول إليها ووجهه ينبىء بأن لديه ما يريد إخبارها به، ففتحت ذراعيها وابتسمت له، لكنه كفّ فجأة عن الجري عندما سمع الصوت العميق الآمر بتوقفه.

توقف بول فوراً والتفت إلى ستيفان بتعجب وخوف من ذلك الأمر القاسي. وفهمت كاترين نظرته المتسائلة والتعجب الذي طرأ عليه وهو يلقيها من عينيه السوداوين على الرجل الذي نهاه عن الركض إليها. لم يتعود بول منذ حداثته أن يكلمه أحد بهذه اللهجة الحادة. وعضت كاترين شفتها وهي تراقبهما، واعترفت بأنها لا تعرف شيئاً عن أفكار وصيهما حول الطاعة وحسن السلوك. واعتراها الخوف عندما تصورته قاسياً جافاً كما تنمّ قسماته، وصممت على الدفاع عنهما مهما كلفها الأمر. وبصرف النظر عن أوامره إليها بعدم التحرّك أسرعت كاترين نحوهما وهما يتقدمان نحوها من جهة الشاطىء الصخري.

وبالرغم من تلك المسافة استطاعت كاترين رؤية نظرة الأسى التي بدت على وجهيهما الصغيرين وهما يسيران بجانب وليّ أمرهما الصارم، فتساءلت كاترين كيف يمكنها الرجوع إلى وطنها وتركهما تحت رحمته وقسوته التي لم يتعودا مثلها من قبل.

وكان بول هو الذي ابتسم لها أولاً ابتسامة حذرة، وعيناه الواسعتان

تناجيانها ووجدت كاترين صعوبة في ضبط شعورها. وقال لها:

«جرينا بعيداً ونحن آسفان».

ثم نظر إلى الرجل الطويل الصارم بجواره. وردد أليكس الاعتذار نف[illegible]

وكأنه يردد درساً:

«نحن آسفان».

واستنتجت كاترين أنهما تلقيا تعليمات كي يعتذرا لها. ويبدو أنه كان لكل

واحد نصيب من اللوم، فقد ألقى ستيفان محاضرة عن الأخطاء للثلاثة معاً.

«يا أحبائي...»

بدأت كاترين كلامها وهمّت بأن تأخذهما بين ذراعيها، فشعورها بالـ[illegible]

لرؤيتهما سالمين كان قوياً، لكنها رأت يدين قويتين تقبضان على أيديهما

وتبعدانهما عنها وتتحكمان في قيادهما. وسار الجميع في الطريق إلى المنزل بصمت

وأسف. لكن كاترين لاحظت أن الطفلين كانا يشعران بالفضول والتعاسة

معاً. فيد الرجل القوية المتحكمة كانت تجربة جديدة عليهما، ولم يكن شعورهما

واضحاً تجاهها لكنهما لم يقابلا ذلك بالاعتراض التام.

ثم قال ستيفان وهو في طريقه عبر الأحراش متجهاً إلى الرقعة المكشوفة:

«لن تذهبا لاستكشاف الجزيرة مرة ثانية إلاّ إذا كان معكما من يقدر على

مراقبتكما مراقبة دقيقة ومستمرة. هل تفهماني؟»

«نعم يا سيد مد...موب...»

وفشلت كل محاولات أليكس في نطق الاسم صحيحاً. أما بول فلم

يحاول ذلك.

«أنا خالكما».

قال لهما ستيفان ذلك وهو يمسك بهما وينحني عليهما حتى يمكنهما فهمه:

«ويجب أن تناديانى: خالي ستيفان. هل يمكنكما ذلك؟»

واستغربت كاترين لهجته وسلوكه نحوهما، اذ شعرت بأن هناك بعض

الانسجام بينه وبين الطفلين جعلها تحس بعيدة عنهما. وسبب ذلك لها شعوراً

بالوحدة، وحاولت إخفاء هذا الشعور بتناولها زهرة حمراء كبيرة قطفتها من غصنها

وراحت تلفها حول أصابعها.

وكان الجواد العربي المهيب يدق الأرض بحافره قلقاً، وأثار مظهره كثيراً

من الاثارة والاعجاب. وكانت كاترين تشعر بالبعد عنهم برغم محاولة بول

جذبها إليهم، فابتسمت ولم تجرؤ على لمس جلد الجواد الأسود الحريري خشية

تراجعه إلى الوراء لأقل حركة. وصاحت قائلة بصورة تلقائية:

«لا تقتربا من الجواد».

نظرت كاترين إلى الولدين فالتفت إليها ستيفان وعبس في وجهها وقال:

«ليس هناك ما يخشى من الجياد إذا كانت محكمة القيادة».

قال لها ذلك وقد نفد صبره:

«لكنهما لم يعتادا الخيل».

وكانت كاترين تتخذ لهجة الدفاع دائماً، الأمر الذي لم يرق لستيفان:

«أنت أخشى ذلك. فهل أفهم أن أحداً منهما لا يمكنه الركوب».

وكان لسؤاله هذا صيغة التأنيب، فبرقت عيناها غضباً وأزاحت خصل شعرها

الأحمر عن جبهتها وقالت وهي تنظر إليه بغضب:

«ما زالا صغيرين!»

ورد عليها باقتضاب:

«بل هما أكبر مني سناً عندما بدأت تعلّم الركوب، وسوف أعمل على تلقينهما

ركوب الخيل فوراً، ثم راح يتفحصها بعينيه الداكنتين العميقتين من رأسها إلى

قدميها وسألها:

«هل تركبين الخيل؟»

فهزت رأسها نافية ذلك، وكان قلبها يخفق بشدة وراعها كل ما أحاط بها من

أشياء أثارت اهتمامها وردت قائلة:

«لم أتعلم ركوب الخيل أبداً».

«حسناً».

أدهشها رده هذا ونظرت إليه برهة متسائلة فقال لها:

«أكره النساء اللواتي يركبن الخيل انها رياضة لا تمت إلى الأنوثة بصلة. فكرت كاترين أنها لم تقابل رجلاً قبل اليوم أكثر منه صلابة وتجبراً. ومما لا شك في أنه يعتقد أن كل آرائه صائبة. وقال الولدان:

«هل يمكننا تعلم ركوب الخيل حقاً يا خالي – يا خالي ستيفان؟»

والغريب أن أليكس هو الذي سأل هذا السؤال فنظر إليه ستيفان وهو يبتسم ابتسامة خفيفة:

«طبعاً سوف تتعلمان، فالأمر يختلف مع الصبية».

ولم تدر كاترين أي شيطان دفعها أن تخالفه وتتحداه، فرفعت رأسها ونظرت إليه من خلال أهدابها الكثيفة وقالت:

«أود أن أتعلم أنا أيضاً».

فاستدار ستيفان ونظر إليها، فرأت كاترين قسماته وقد كستها نظرة قاسية وظل ينظر إليها برهة رأت كاترين خلالها عرقاً ينبض في الجانب الأيمن من جبهته وقال بهدوء:

«هل تقولين ذلك لمجرد التحدي؟»

وشعرت كاترين أن وجهها كسته الحمرة لأنه اكتشف حقيقة نواياها بدقة، ثم استطرد قائلاً قبل أن تستطيع الرد بالنفي أو الايجاب:

«لن تتعلمي الركوب وأنت على هذه الجزيرة».

«تقصد مملكتك؟»

وكان ردها تلقائياً، وكانت تعلم جيداً أنه سوف لا يقبله ولكن لدهشتها رأت فمه الواسع ينفرج عن بسمة تألقت أيضاً من عينيه. ووافق على قولها برقة:

«مملكتي؛ هكذا يصفها نيكولاس، ولذلك أستنتج أنك قررت رؤيتي من

خلال عينيه».

ولكن كاترين هزت رأسها بسرعة تنفي هذا الاتهام برغم أنها واثقة من أن رأي نيكولاس في أخيه عاجلاً أم آجلاً إذا بقيت معهم في جزيرة ...

«أنا دائماً أكوّن رأيي بنفسي».

قالت ذلك بقوة وهي مصممة ألا تنهزم.

فضحك ستيفان ساخراً وقال:

«عندما اتخذت القرار لضمك إلى عائلتي لم أكوّن عنك أية فكرة طيبة أو سيئة، وأرجوك أن تفعلي مثلي بدلاً من تكوين رأي خاطئ، مبني على فكرة نيكولاس عني».

«ولكني لست متأثرة برأي أخيك فيك».

قالت ذلك احتجاجاً، فهز كتفيه العريضتين واستدار إلى الناحية الأخرى قائلاً في برود:

«النساء في بلادي لا يناقشن الأمور ولا يدخلن في جدال».

ثم قاد الجواد الأسود إلى مسافة قريبة وامتطاه برشاقة ويسر، ونظر إليها من فوقه من خلال عينيه السوداوين وبقامته الطويلة المعتدلة، وجسده الأسمر يظهر من خلال قميصه الشفاف وقال لها:

«هناك أشياء كثيرة يجب أن تتعلميها يا كاترين ولكنك ما زلت صغيرة وأمامنا الوقت الكافي لذلك».

ولم ينطق بكلمة أخرى لها أو للصبيين.

ووقف الثلاثة ينظرون إليه وهو يبتعد عنهم بجواده، وكان نبض كاترين يتلاحق بسرعة وهي ترى ظهره المستقيم وقامته الطويلة وساقيه القويتين ويديه السمراوين اللتين تقودان الجوادبمهارة، ولذلك لم تكن واثقة من أن يكون الغضب وحده هو كل سبب هذا القلق. وكان كل من الرجل والجواد مستبداً قوياً بطريقته، يشعر بثقته في قوته وفي إثارة الاعجاب به ويكوّنان معاً ثنائياً رائعاً.

الحياة في جزيرة داكوليس لن تسير في هدوء، هذا ما شعرت به كاترين،لكنها شعرت فجأة بأنها مستعدة لقبول أي تحدٍ يسببه لها ستيفان في جزيرته. بدا لها في تلك اللحظة أنه على حق عندما قال إن هناك أشياء كثيرة لا بد أن تتعلمها، وأول هذه الأشياء ألا تتأثر بطغيان رجولة مضيفها.

٤ ـ الأسهم....

مضى الآن نحو ثلاثة أسابيع على وصول كاترين إلى الجزيرة، وقد اعتادت رؤية أخويها أقلّ مما كانت تفعل، ولم يكن ذلك لانصرافها عنها كلياً، اذ كانا يقصان عليها دائماً أحداث يومهما كما تعودا، ولكن كان هناك الكثير من الطرائف الجديدة المثيرة التي تشغلهما وتجعلهما ينسيان أنهما أهملاها.

وفكرت كاترين انها الطريقة المثلى التي تمكنهما من الانفصال عنها بسهولة. لكنها كانت تشعر بمرارة أحياناً عندما تراهما مقبلين على الذهاب مع كاسيا وابنتي خالها إلى الشاطىء، أو السير في الجزيرة لاستكشاف دروبها. أخذت كاسيا الأطفال الأربعة في زيارة ثانية إلى شاطىء قريب وبقيت كاترين وحدها في صحبة هيلين ميدوبوليس التي لم تكن ترتاح إليها كثيراً.

ولم يكن هناك أي سبب لتكره هيلين كاترين لكن بعدما قدم ستيفان كاترين إلى هيلين ليلة وصولها شعرت كاترين أن العلاقة بينهما يشوبها نوع من الجفاء، ولكن هذا الشعور كان بعيداً كل البعد عن الغيرة بسبب إعجاب غريغوري الظاهر بها.

كان يبدو على هيلين جوّ من التعاسة يصعب تفسيره، قد يرجع إلى معاملة غريغوري الفاترة لها، فلم يكن يبدو عليه أنه متيّم بزوجته أبداً، ولكنهما يعيشان في سلام معاً لاتفاقهما بالطبع الشاكل المالية. وبسبب عدم شعورها بالارتياح في صحبة هيلين اختارت كاترين عن عمد موضوعاً للحديث

شعرت أنه لايمكن أن يثير جدالاً من أي نوع، فتحدثت عن الجزيرة واختلافها عن البيئة الأولى التي نشأت فيها. ولكن حتى هذا الحديث العابر لم يكن يثير أي اهتمام أو حماس لدى هيلين. وعندما بدأت كاترين تقارن بين الناحيتين قالت هيلين بصوتها العميق:

«لم أذهب إلى انكلترا أبداً ولذلك لايمكنني المقارنة.»

فسألتها كاترين وهي تحاول أن ترسم علامة الحسد على وجهها:

«هل عشت هنا طول حياتك؟ انا أحسدك على ذلك. إنك محظوظة.»

«هل تظنين ذلك؟ هل تظنين أنني محظوظة؟»

ولوت هيلين فمها الواسع بمرارة، وعندما ضحكت أطلقت صوتاً قصيراً جافاً لايبدو فيه المرح ثم قالت:

«كنت أود أن أجوب أقطار الدنيا وأرى بلاداً أخرى...»

وهزت كتفيها، ومرة أخرى لوت فمها بمرارة وقالت:

«هل تظنين أن هذه الجزيرة هي الجنة بعينها ياكاترين؟ إنك لاتعرفين القضبان الخفية التي تحيط بهذه الجنة. كاديوليس هي الجزيرة التي جئت منها وتشبه هذه تماماً وتشكل مثلها سجناً لي.»

«آسفة.»

كان من الصعب الرد على هذه المرارة وهذا الاستياء، وشعرت كاترين بالعطف على هيلين لتعاستها الظاهرة. لكن في الوقت نفسه تساءلت كيف تقضي هيلين حياتها بدون أن تفعل شيئاً بالرغم من وجود كل هذه الامكانيات النادرة. حوّلت هيلين حياتها إلى جحيم مقيم وكان في استطاعتها أن تسعد بها.

ثم نظرت إلى كاترين بعينيها السوداوين اللتين يكمن فيهما الكره وقالت رداً على اعتذارها:

«ماذا تأسفين فأنت لست والدك.»

كان الشك واضحاً في صوتها. وردت كاترين بسرعة:

«والدي!»

ونظرت إليها كاترين باستغراب وريبة، فذكر والدها آخر مافكرت فيه كاترين مما أفقدها اتزانها برهة ولكنها تذكرت كلمات ستيفان ليلة وصولها عندما قال عن هيلين:

«كانت تعرف والدك.»

و يومها كان هناك شعور بأن هذه العبارة تخص هيلين شخصياً، وترمي إلى معنى خاص بهيلين، ولكن لاصلة لها بكاترين على الاطلاق.

وقبل أن تتمكن من سؤال هيلين عما تقصده رأت نيكولاس مقبلاً فأشارت إليه بيدها محيية. ولم تغب هذه الاشارة عن نظر هيلين التي ضحكت ضحكة قصيرة وهي ترى شقيق زوجها قادماً وقالت بصراحة:

«لاأمل الكثير من وراء نيكولاس. فمصيره مرسوم كمصير غريغوري ومصيري، ولن يجرؤ أحد على مخالفة مارسمه ستيفان. تزوجني غريغوري وسوف يتزوج نيكولاس ابنة بودوبولوس عندما يحين الوقت المناسب. أما ستيفان فمن يدري ماذا أعد لنفسه. إذا اختار ألينا اندرياس فستكون بلا شك بلهاء إذا فكرت أنها سوف تحتفظ به.»

قالت ذلك وهي تضحك ضحكة جافة. ولاحظت كاترين أن نيكولاس سمع جملتها الأخيرة المريرة ولذلك قطب جبينه، ولم يناقش هيلين في ذلك، وسرعان ما انحنى على يد كاترين يلثمها بينما تجاهل هيلين تماماً وقالت لكاترين:

«وجدتك أخيراً.»

فابتسمت كاترين وارتاحت لقدومه وقالت له:

«لم أكن أعرف أنك تبحث عني.»

وكان الفضول قد تمكن من كاترين لكنها كانت تخشى أن تصارحها هيلين بشيء يخصّ والدها فيشكل لها بعض الارتباك برغم أنها لم تستطع أن تجد لذلك سبباً.

وبدا نيكولاس وسيماً بوجهه الأسمر وعينيه اللامعتين، وقال لها وهو يهز

كتفيه أسفاً ومعتذراً لأنه لابد أن يرضخ لرغبات أخيه.

«أنا رسول أخي إليك، وددت أن تخرجي معي في السيارة إلى الجانب الشمالي من الجزيرة لنسبح في البحر ولكن ستيفان يرغب في رؤيتك حالاً في مكتبه».

«وهل تطيعه دائماً؟»

لم تقو كاترين على منع نفسها من توجيه هذا السؤال ولذا رأت في عينيه نذير الاحتجاج. وقال:

«لن يكسب أحد شيئاً من مخالفة ستيفان، وسوف ترين بنفسك هذا ياكاترين».

قال هذا وهو يأخذ يدها و يضغط عليها بقوة وكأنه يؤنبها. وشعرت بالندم فوراً وحاولت الاعتذار فضغطت على أصابعها مرة أخرى ولكن برقة هذه المرة. ثم اعتذرت له هامسة وقالت:

«آسفة يانيكولاس».

ولكنها لاحظت أن هيلين تراقبها بشيء من الازدراء، وتساءلت كاترين لماذا تتعمد هيلين الابتعاد عنها وعدم التقرب إليها. وقال نيكولاس وهو يلثم يدها:

«أسامحك، والآن اذهبي إلى ستيفان قبل أن يظن أنني أهملت تبليغ الرسالة».

وأومأت كاترين وخفق قلبها ونظرت إلى نيكولاس وقد بدا القلق في عينيها وسألته:

«هل لديك أي علم عن سبب رغبته في مقابلتي؟»

فهزّ كتفيه وابتسم قائلاً:

«إنه لايصرّح لي بأي شيء، ولكن يجب ألا يبدو عليك الخوف وكأنك سوف تواجهين قاضياً يحكم عليك، فهو لايعض أو يميت. اذهبي إليه باطمئنان ياعزيزتي».

وطمأنته كاترين بسرعة قائلة:

«أشعر بالفضول فقط».

وابتسم نيكولاس لها مرة أخرى وأعطاها ذراعه فتأبطتها وخلا المنزل معاً بعدما حيّت هيلين بابتسامة قصيرة من فوق كتفها. كان نيكولاس يضغط برقة على ذراعها وأثارت لمسته مشاعرها. كان في استطاعته أن يطيّر عقلها إذا أراد ذلك.

«من غير شك سوف يتحدث إليك ستيفان في أمور عقيمة تختص بالعمل».

ولمعت عيناه ثم قال:

«ستيفان وحده لايدرك ضياع الوقت في مثل هذه الأمور».

ثم ودعها برقة قائلاً:

«سأنتظرك إلى أن تخرجي من عنده».

وصاحت كاترين:

«نيكولاس...»

ولكنها غيّرت رأيها وذهبت للبحث عن مكتب ستيفان، وضاعت الفرصة للسؤال عن علاقة والدها بهيلين. ربما أمكنها بعد ذلك سؤال نيكولاس عن سرّ تعاسة هيلين إذا واتتها الفرصة، ولماذا ترتبط هذه التعاسة بوالدها.

وكان مكتب ستيفان يقع في الجانب الخلفي من المنزل. تفتح نوافذه على مناظر الأشجار الأخاذة التي تكاد تشغل من في المكتب عن عمله. ومن عنده يبدأ الطريق الذي سلكته كاترين والطفلان يوم ذهبوا لاستكشاف الجزيرة أول مرة وضلّ الطفلان طريقهما. كان منظر أشجار النخيل والليمون والبرتقال من خلال النوافذ المرتفعة يسلب اللب... وتساءلت كاترين كيف يستطيع أي إنسان العمل في مثل هذه المناظر الخلابة. وكان جو الغرفة يوحي بأنها تخص رجلاً، بمقاعدها الجلدية الداكنة اللون ومكتبها العريض، ولكنها لاتعطي أي علامة لوطن هذا الرجل. فقد تكون هذه الغرفة في أي مكان من العالم. أما جدرانها فكانت بيضاء وسجادتها حمراء منقوشة برسوم ذهبية رجحت كاترين أنها تركية الصنع كمعظم تحف المنزل. وكانت أشعة الشمس تدخل متخللة خشب النوافذ الأخضر. ما عدا ذلك كان يمكن أن تدخل متخللة خشب النوافذ

الأخضر. ما عدا ذلك كان يمكن أن نجد هذه الغرفة في منزل أو مكتب أي رجل أعمال انكليزي.

وعند دخولها إلى المكتب وجدت ستيفان واقفاً بجانب أحد النوافذ وظهره إلى الغرفة. يعقد يديه وراء ظهره ويرتدي بنطلوناً رمادياً وقميصاً أبيض.

ووقفت كاترين في الباب تشعر بضآلة حجمها في ذلك الثوب الأبيض القصير الذي يكشف عن امتلاء جسمها الفتي والذي ينساب عليها في رشاقة. وصندلها الذي كان بلا كعب وودت لو كانت على علم بهذه المقابلة حتى يمكنها أن ترتدي زياً مناسباً لايظهرها كالتلميذة التي تقابل ناظر مدرستها في مكتبه.

واستدار ستيفان فجأة وارتسمت على وجهه الأسمر ابتسامة خفيفة أضاءت تقاطيع وجهه الذي يشبه الصقر، ثم قال لها مشجعاً ومشيراً إلى أحد المقاعد أمام مكتبه مباشرة:

«أجلسي ياكاترين.»

جلست ثم جلس وأخذ يتفحصها من خلال عينيه السوداوين حتى أنها ارتبكت وقطعت الصمت الذي ساد بينهما وقالت بدون أن تدري:

«نيكولاس أخبرني أنك تريد مقابلتي. لا أعرف لذلك سبباً سوى أن...»

«سوى أن ماذا؟»

وهزت رأسها متسائلة:

«لماذا أردت مقابلتي ياسيد ميدوبوليس؟»

وشعرت كاترين بارتباك لم تشعر به من قبل في حضوره.

«ما هو في نظرك سبب استدعائي لك؟»

سألها ذلك وهو مصمم على أن تجيبه بنفسها.

وحاولت أن تحتفظ برباطة جأشها وقالت:

«ربما عقدت العزم أن تجعلني أغادر الجزيرة وأرجع ثانية إلى انكلترا.»

لكنها كانت في قرارة نفسها تظن أن هذا ليس السبب في استدعائها فرد عليها قائلاً:

«أبديت من قبل بوضوح أن رغبتي هي بقاؤك معنا كفرد من أفراد عائلتي، فلماذا تظنين أنني أغير رأيي فجأة وبهذه السهولة؟»

وهزت كاترين كتفيها وحركت يديها بيأس وقالت:

«لا أرى شيئاً في الواقع، ليس في إمكاني تخمين السبب الذي طلبتني من أجله.»

ودهشت لأنها شعرت بالارتياح عندما عرفت أن السبب ليس طردها من الجزيرة، وعادت تقول:

«لا أرى أي سبب آخر يدعوك إلى رؤيتي.»

وتصورت أنه ابتسم ولكنها لم تجازف وترفع رأسها لتتحقق من ذلك.

«في الحقيقة طلبتك لأناقش معك ميراث والدك في شركة ميدوبوليس للملاحة.»

كان صوته هادئاً رقيقاً وهو يقول ذلك. وسألته:

«شركتك للملاحة؟»

ونظرت إليه كاترين بتعجب وفضول ودهشت أن يستشيرها في هذا الأمر فقد دخل والدها بنصيب في شركة ميدوبوليس للملاحة عند زواجه من ماريا فكان من المنطق أن تعود الأسهم التي كان يملكها إلى أليكس وبول، ولم تفهم سر استشارته لها علماً بأنه أصبح الآن الوصي على الولدين.

لاحت ابتسامة فاترة على الفم الواسع وهز رأسه وصححها بهدوء، قائلاً:

«خط الملاحة لايخصني وحدي بل تملكه الأسرة كلها ياكاترين.»

ونظرت كاترين إليه من بين أهدابها الكثيفة، وكانت تشك في أن الأسرة تشترك في تسيير خط الملاحة. فمهما كان عدد الأسهم التي يمتلكها أفراد الأسرة فهي متأكدة أن ستيفان وحده هو الحاكم بأمره له الحق في إصدار كل القرارات. فقالت بشيء من السخرية:

«ولكنك أنت الحاكم بأمرك.»

فأطبق فمه بشدة وكأنه استاء من هذه النبرة الماكرة وقال لها في هدوء:

«أمتلك معظم الأسهم ولذلك يكون لي الحق الأخير لاتخاذ القرارات الهامة، ولكن الشركة تخص العائلة برغم ذلك.»

وأطال النظر إليها وأخيراً قال بصوت خفيض:

«تعتقدين أنني جبّار متسلط أليس كذلك ياكاترين؟»

ولم تشعر كاترين بحرج مثلما شعرت الآن، وتسارعت دقات قلبها وشعرت برجولته. فهاتان اليدان الداكنتان وعنقه التي لفحتها الشمس تطل من قميصه الأبيض وكل ما فيه أثار كاترين وجعلها تعتقد أنه أكثر نضجاً وخطورة من أخيه نيكولاس. قد يكون جباراً كما قال وقد يكون هذا صحيحاً ولكنه كان رجلاً جذاباً جداً يؤثر وجوده فيها تأثيراً كبيراً وكان هذا هو الأمر الأهم بالنسبة اليها في تلك اللحظة.

وعادت تقول في تحدٍ:

«ألست جباراً حقاً؟»

وحاولت كاترين هذه المرة ألا تتأثر بقوة شخصيته أو بقوة جاذبيته، وظلّ لفترة طويلة لايتكلم لكنه هزّ كتفيه العريضتين بخفة وبدأت لمحة من المرح في عينيه السوداوين وقال:

«كلمة جبّار معناها باليونانية السيد، وأظن أنني سيّد هذه الجزيرة على الأقل.»

وذكرته قائلة:

«مملكتك»

وهز رأسه موافقاً وقال:

«نعم مملكتي إذا كنت تشاركين أفكار نيكولاس.»

ووجدت كاترين في هدوئه إثارة وجاذبية اكثر فحاولت أن تستعيد حالتها الطبيعية وتعود إلى الموضوع الذي جاءت لأجله فسألته:

«لا أفهم لماذا تريد أن تناقش معي موضوع نصيب والدي في الأسهم. إنها تخص الولدين الآن بالتأكيد وأنت الوصي عليهما.»

واعتدل ستيفان في جلسته ومال إليها ولم يعد يفصله عنها سوى مكتبه،

فأمكنها رؤية التجاعيد الرفيعة التي تشعّ من جانبي عينيه والشعيرات البيضاء القليلة التي بدت في صدغيه بين سواد شعره الحالك. ثم قال وهو يتفحصها بنظراته الثابتة القوية:

«لو ترك الأسهم كلّها لك وليس للولدين ياكاترين.»

«بل أنا؟»

ونظرت إليه عدة لحظات وهي لاتصدق ذلك. ففي السنوات الأخيرة كانت كل أعمال والدها في يد محام عائلة ميندوبوليس ومن الطبيعي أن يعرف ستيفان كل شيء عنها. وقد يكون كذلك أحد المتنفذين إذا كان مثل هذا الشيء قائماً في اليونان اذ كانت كاترين تجهله كل الجهل حتى في انكلترا.

وسألها ستيفان:

«ألم تعلمي أنه كان ينوي ترك الأسهم لك؟»

وهزت كاترين رأسها ببطء وقالت بصوت مبحوح وهي لاتكاد تصدق ماسمعته:

«لم أر والدي لمدة ثلاث سنوات ونصف قبل أن يموت ولم نتراسل كثيراً أثناءها.»

أومأ ستيفان وهو واثق أن ماقالته صحيح وذلك لأن ستيفان وعائلته كانوا يرون جورج غرانجر كثيراً في السنوات الأخيرة من عمره بعكس زوجته وأولاده ردّ ستيفان عليها يقول بهدوء محاولاً أن يعبّر عن شعوره بالعطف بلا كلام:

«انا واثق من ذلك.»

وتأثرت كاترين بعطفه سواء كان ذلك بكلمات أو بدون كلمات. وقالت بسرعة وهي تواجه الحقيقة لأول مرة:

«لا أعرف حتى مدى ثروة والدي.»

والواقع أن كاترين لم تكن تعرف شيئاً عن الثروة التي تركها لهم والدها وما يخصها هي بالذات، وخاصة أن الولدين أصبحا تحت رعاية ستيفان الآن.

وسادت لحظة صمت ونظر إليها ستيفان وهو جالس أمام مكتبه ثم قال لها

يبطء وهو يتفرس في وجهها:

«لم يكن والدك رجلاً غنياً ولكنه كان في سعة من العيش. يضاف إلى ذلك امتلاكه الأسهم»

وكان واضحاً أنه يحاول أن ينتقي كلماته بحرص. وبدأت كاترين تدرك معنى ذلك فسألته:

«هل تجعلني هذه الأسهم مساهمة في شركة ملاحة ميدوبوليس؟»

فهزّ لها ستيفان رأسه موافقاً، ولكنها تأكدت من العبوس الذي غطى وجهه فهذا الأمر لايروق له. ثم قال لها:

«ابوك دخل مجلس إدارة الشركة بصفته زوج شقيقتي ماريا. أما ماريا نفسها فلم تملك أسهماً»

وأخيرا تبينت كاترين السبب الذي من أجله دعاها ستيفان لمقابلته، وطابت نفسها لامكانها التفوّق على ستيفان ولن تضيعَ هذه الفرصة. ونظرت إليه من ظل أهدابها الطويلة بعينيها الخضراوين اللتين تلمعان كالجوهرة الثمينة. وبدت على فمها إبتسامة صغيرة ولكن راضية ثم قالت له:

«ماريا كانت امرأة بالطبع، وليس في دنياكم ياسيد ميدوبوليس من النساء من تملك أسهماً»

ورأى في عيني كاترين نظرة انتصار، فهبّ ستيفان واقفاً في حركة سريعة ومرنة جعلت كاترين تعتدل في جلستها. ومرّة أخرى توجه إلى النافذة ووقف وظهره إلى الغرفة. ويداه معقودتان وراء ظهره تماماً كما رأته عند دخولها وشعرت كأنه يتحداها بظهره.

«يبدو أنك تأخذين الأمر ببساطة»

قال ذلك من غير أن يدير رأسه نحوها، وكانت لهجته باردة جافة وكأنه يحاول أن يكبح غضبه بصعوبة. ومضى يقول:

«أحاول أن أعالج مسألة أسهم والدك بما يرضي كل الأطراف المعنية. ولكن يبدو أنك تأخذين الأمر كوسيلة لكسب انتصار أنثوي مضحك»

ولم تصدق كاترين أنها في موقع يمكنها معه أن تسيطر على رجل مثل ستيفان، ويعطيها شعوراً بالقوة ولو إلى حين. وكان يبدو أنه يرغب في الاستيلاء على هذه الأسهم ويعرف جيداً أنها سوف تتمسك بها ولو أنها لم تصرّح له بذلك. وتساءلت ترى ماذا يفعل إذا تمسكت بها ولم تفرّط فيها. وسألته وهي تتظاهر بالخضوع له وينمّ صوتها على الامتثال:

«كيف تتهمني بذلك وأنت لم تصرّح لي بعد بمقترحاتك؟»

فاستدار إليها وظلّ ينظر إليها بثبات لحظة طويلة، وتقدم ليقف أمامها مباشرة، ولكنها خفضت عينيها وحاولت أن تخفف من سرعة نبضها التي راح يخفق لقربه منها.

وسألها بهدوء:

«وهل أنت مهتمة حقاً بمعرفة مقترحاتي؟»

فهزت رأسها موافقة وقالت:

«طبعاً ياسيد ميدوبوليس»

«إنك تناديني باسمي كاملاً فهل تستعملين هذه الطريقة الرسمية مع إخوتي كذلك؟»

وكان خروج ستيفان عن موضوع المناقشة فجأة قد أدهش كاترين، وجعلها تعجب من اهتمامه بهذا الأمر التافه خصوصاً في ذلك الوقت. وأدركت فجأة أنه يعترض على أنها تخاطبه باسمه الكامل ولقبه، وأخيراً قالت:

«لا أدري كيف أناديك»

«تعرفين اسمي»

وهزت رأسها موافقة وخفضت عينيها ووسوس شيطانها أن تداعبه كما داعبته من قبل عندما أظهرت رغبتها في تعلّم ركوب الخيل ولم تقاوم رغبتها فقالت:

«نيكولاس والآخرون يسمونك ستيفان والطفلان يدعوانك بخالي ستيفان. ولست أدري لأي فريق منهم أنتمي»

كان صوتها رقيقاً، وهي تنظر إليه بعينيها الخضراوين، فتمتم ستيفان

باليونانية كلاماً لابد أن يكون قولاً قاسياً. وغضت كاترين نظرها مرة أخرى، وخفق قلبها بالخوف فجأة. وبدلاً من صفعها كما كانت كاترين تتوقع أغلق يديه القويتين بشدة، فتكورتا وراح يغالب بصعوبة الغضب الذي اعتراه ثم رد عليها بقسوة وبرود جعلها تشعر برعشة في ظهرها وأطرافها:

«لك أن تختاري ماتريدين، ولكن بما أنك تتصرفين كالأطفال فالأوفق أن تناديني ياخالي مثل أخويك.»

قال ذلك بصوت بارد أجش. ولكن كاترين لم يكن في نيتها إطلاقاً أن تفعل ذلك. رفضت هذا الاقتراح ونظرت إليه بسرعة وهمت بالكلام ولكن نظرته القاسية أسكتتها، فشعرت بضآلتها وجلست وقد وضعت يديها في حضنها وأخيراً قالت متلعثمة:

«إني - إني آسفة.»

وودت كاترين لو تدخل أحد وأزاح ذلك الصمت الرهيب الذي خيّم عليهما، وساد الغرفة ولكن يبدو أن ستيفان لم يكن في نيته عمل شيء سوى الوقوف أمامها صامتاً، ولذلك اضطرت أن تكون هي البادئة بالكلام.

بدت يداه الآن أقل توتراً، واسترخت أصابعه الطويلة لكنها بدت وكأنها ستمتد وتصفع كاترين في أي لحظة. ولاحظت أيضاً أن التوتر خف من جسمه الطويل النحيل، فتشجعت ونظرت إلى وجهه الذي لان قليلاً برغم أن فمه بقي صلباً صارماً تحت ذلك الأنف التركي المتغطرس. وأخيراً جازفت وقالت:

«آسفة ياسيد ميدوبوليس.»

«ستيفان!»

«ياستيفان.»

رددت كاترين اسمه بطاعة فرأت قسماته الصارمة تلين قليلاً وامتدت يده ولامست أصابعه عنقها برقة. ثم قبضت بشدة على خصلة من شعرها الأحمر النحاسي مما أثار الخوف في نفسها وقال:

«أظن أن هذا الشعر الوهاج يجعلك متمردة تصعب السيطرة عليك.»

قال هذا هامساً وبصوت عميق جعل قلبها يخفق بين ضلوعها حتى خيل إليها أنه يسمعه ولكنها قالت بصوت ناعم كادت لاتعرف أنه صوتها:

«لم أتعوّد أن يسيطر عليّ أحد لأنها طريقة عقيمة لاتفيد في كسب ثقة الناس كما تعرف.»

«وهل تعلمينني طرق السلوك في الحياة وكسب ثقة الناس؟»

وضغط بإبهامه على شفتيها ثم على عنقها ماراً بخديها، ثم استدار وجلس على مقعد مكتبه وقال بهدوء، وكأنه يحدث نفسه: سوف تتعلمين، وبعد لحظة صمت استطرد قائلاً بهدوء:

«والآن هل نناقش مسألة الأسهم الخاصة بك؟»

«نعم بكل تأكيد.»

سبب هذا الانتقال المفاجيء إلى العمل الجاد لكاترين شيئاً من خيبة الأمل، بالرغم من أن مناقشة مسألة الأسهم كان السبب الرئيسي في دعوته لها بالحضور ولا بدّ من الانتهاء منه عاجلاً ام آجلاً.

اتكأ ستيفان ونظر إليها بعينين متفرستين، وأخيراً قال في صوت يتسم بالبرود والواقعية:

«أرغب في شراء هذه الأسهم منك.»

فكرت كاترين ملياً وأصبح واضحاً بالطبع أنه دعاها الى البقاء في الجزيرة لهذا السبب أساساً، ولم تصدق اهتمامه بوحدتها في الحياة بل كل ماكان يشغله في بساطة أنها تمتلك أسهماً في شركة الملاحة الخاصة بهم، وهو يريد السيطرة على هذه الأسهم.

من يدري لعله كان ينتظر أن تشكر له كاترين أنه اعتبرها عضواً في عائلته، وتسلمه الأسهم مقابل ذلك بدون تفكير ولا اعتراض، وسادها في كل ذلك خيبة الأمل المريرة التي شعرت بها، ومن هنا قررت التمسك أكثر بالأسهم، فلن تسلمها إلى أي مخلوق حتى ولو كان ميدوبوليس نفسه وردت عليه قائلة:

«لا أريد بيع الأسهم.»

قالت ذلك بهدوء وسرعان مارأت وجهه يكسوه الغضب وقطب حاجبيه ثم أضاف:

«ماذا! إنك لاتفهمين المسائل المالية، وبجانب ذلك أنت لست عضواً في عائلة ميندوبوليس.»

قال ستيفان ذلك بصوت صارم بارد وتساءلت ما إذا كانت قد تمادت أكثر مما يجب فردت عليه قائلة:

«ولم يكن والدي عضواً في العائلة أيضاً.»

وللمرة الثانية هبَّ واقفاً بجانبها، واقترب منها فجأة، وكأن مجرد حضوره سوف يؤثر عليها ويجعلها تغيرّ من رأيها. وقال لها مذكراً إياها:

«كان والدك يعتبر واحداً منا بزواجه من شقيقتي.»

فأجابت:

«وكان رجلاً طيباً.»

وشعرت أن مقاومتها لهجومه عليها كادت تنهار.

فغضب وأظهر غضبه بتلك الكلمات اليونانية التي أطلقها، ولابد أنها كانت تدين عنادها. واقترب منها أكثر فشعرت بقوته وشخصيته تنساب إليها مما جعلها ترتجف وقال لها:

«إنك عنيدة، ولكن سوف تأسفين إذا تماديت في هذا العناد ياكاترين وسوف ترين، أنا أعدك بذلك.»

كانت كلماته قصيرة عنيفة وودت كاترين لو أمكنها القيام من مقعدها، لكن قربه لها لم يمكنها من ذلك، فبقيت جالسة وشعرت بعجزها وضآلتها أمام غضبه وجبروته وهو يقف بقامته الطويلة الى جوارها وجازفت قائلة:

«ليس لك الحق في تهديدي...»

ولم تكمل حديثها اذ امتدت يده تحت ذقنها فجأة وأجبرتها على النظر إليه ليقول لها برقة:

«لي الحق في عمل كل شيء أريده هنا، فهذه هي مملكتي. ألا تتذكرين؟»

أحست كاترين الخوف عندما تقلصت شفتاه وضغطت يداه على ذقنها بشدة وقال:

«إذن دعني أغادر الجزيرة.»

وقال برقة:

«واتركين أخويك تحت رحمتي؟ لاأظنك فاعلة هذا ياكاترين.»

ورأت كاترين أمامها الطريق مسدوداً. لكنها لم تكن تريد الخضوع له بعد عنادها وتمسكها بحقها، وكانت تحس بشعور غامض أنها إذا خضعت له سوف يشعر بخيبة أمل فيها.

«طبعاً أفضل البقاء معهما هنا ولكن إذا طلبت مني أن أبقى معهما لمجرد إرغامي على التخلي عن تلك الأسهم فإنك تكون مخطئاً ياستيفان.»

كانت في العينين السوداوين نظرة عنيفة برّاقة ولكنها لمحت ابتسامة على فمه الواسع لم تستطع فهم مغزاها وقال لها في هدوء:

«هل تعتقدين ذلك؟»

وأشاحت كاترين بوجهها بسرعة واعترفت قائلة:

«لست أدري.»

«إنك تظلمينني إذا اعتقدت ذلك.»

ورفعت عينيها ثانية وبدت فيهما نظرة رقيقة وهي تقبل ماقاله شاكرة، بل اعتذرت بالصوت الهادىء نفسه وقالت:

«آسفة إذا كنت أخطأت في الحكم عليك، ولكن لن يغيرّ هذا من الأمر شيئاً ياستيفان. فلن أبيع لك الأسهم.»

وكان قلبها يخفق بشدة لدرجة أنها كانت تسمع دقاته بوضوح وخشيت أن يسمعها هو أيضاً.

وترك ذقنها بعد ذلك لكن أصابعه لامست خدها في رفق كما كان يفعل نيكولاس، ورأت في عينيه بريقاً عميقاً لم تر مثله من قبل وقال بنعومة:

«حسناً، سوف نرى.»

«ستيفان ـ»

اقلقتها كلماته ورضاه الهادئ، فنظرت إليه بعينين واسعتين لكن ابتسامته المفاجئة التي كشفت عن أسنانه البيضاء المتساوية أضفت عليه تعبيراً مختلفاً، لم تعرفه من قبل وجعلت نبضها يسرع مرة أخرى بطريقة لاتستطيع السيطرة عليه.

وأحاطت يداه الكبيرتان بوجهها برفق، وأحست كاترين بدفء راحتيه وهو يرفع وجهها وقال برقة:

«القدر له طريقة في تطوير مثل هذه الأمور، وأنت لن تغادري هذه الجزيرة... وأنا أعرف هذا.»

وبسرعة وعلى نحو لايصدق انحنى الرأس الأسود وعانقها وقال مرة أخرى بالصوت الناعم نفسه.

«سوف ترى.»

٥ ـ عناق، عناقان، ثلاثة...

أخذ نيكولاس ينظر إلى كاترين بفضول، وكانت كاترين تلوم نفسها لأنها صرحت له بكل شيء، فمنذ أيام فكّرت أن تخبره لماذا دعاها ستيفان إلى مكتبه وساومها لتبيعه الأسهم، واليوم أفضت بالخبر كله إلى نيكولاس، وقصت عليه ما حدث.

ولم تعرف على وجه الدقة إذا كان غريغوري أو السيدة ميتوبولس علما أنها رفضت بيع أسهمها الخاصة في الشركة . لكنها لم تلاحظ أن أحداً منهما أشار بذلك أو أبدى أي احتجاج، بل كانوا لطفاء، ومؤدبين معها يعاملونها بكل ما تقتضيه آداب الضيافة من اهتمام واحترام.

أما ستيفان فكان مؤدباً بقدر ما يقتضيه الأدب والأخلاق، لكنه لم يتقرّب إليها ولم يبذل أي محاولة ليكون أكثر وداً، بل عاملها معظم الوقت بشيء من البرود، وكان هذا واضحاً. أما سلوكه مع الطفلين فقد لان قليلاً وهذا ما كان منتظراً من أي شخص حتى من ستيفان نفسه.

كان نيكولاس فضولياً يود معرفة ما دار في مقابلتها مع ستيفان، لكنه لم يسألها عن ذلك حتى بعد أن قابلها لدى خروجها من عند ستيفان.

ولكن بما أن نيكولاس لا تهمه المسائل الكئيبة، لزم الصمت ولم يفاتحها في الموضوع ثانية، وكان من الصعب على كاترين الرجوع عن قرارها بعدما صممت على التمسك برأيها والاحتفاظ بالأسهم التي تركها لها والدها. مع ذلك لامت نفسها أحياناً وتمنت لو غيرّت رأيها وصارت أقل عناداً، وتركت ستيفان

يشتري أسهمها كما كان يريد. سألها نيكولاس:

«ألم تشعري أن ستيفان كان يتوقع منك أن تدعيه يسترد الأسهم التي تملكينها؟»

كان نيكولاس متمدداً في تراخ تحت شمس الشاطئ، وكأنما لا يحب إثارة ذلك الموضوع مطلقاً. وكان واضحاً أنه يعتبرها مخطئة أو متفائلة أكثر مما يجب، على الأقل إذا توقعت أن يتصرف أخوه بأي طريقة غير التي اتبعها معها.

«لم يكن لي علم بوجود هذه الأسهم إلى أن أخبرني ستيفان بذلك. ولم أفهم سبب ترك والدي هذه الأسهم باسمي، لكني لم أتوقع من ستيفان أن يطلب شراءها».

كان يبدو على كاترين أنها غير مرتاحة لموافقته الواضحة على اقتراح ستيفان باسترداد الأسهم. ونظرت إليه في عتاب وقالت:

«كم كنت اتمنى ان ينبهني احد لما يدور في خلد ستيفان قبل ان اقابله في مكتبه».

وضحك نيكولاس بهدوء ومدّ يده ولمس ذراعها مداعباً وقال:

«إذا كنت تقصديني يا جميلتي فلم أكن أعرف سبب استدعاء ستيفان لك. قلت لك ذلك في حينه وحتى لو عرفت...»

وهزّ كتفيه ففهمت كاترين أن هذا ما كانت تنتظر من عدم الاهتمام بأمورها. فلم يكن ليخطر على بال نيكولاس أن هناك أي شيء غير معقول بالنسبة الى رغبة ستيفان في ضمّ أسهمها إلى أسهم العائلة. فبالرغم من لطفه واستعداده لعمل كل ما في وسعه لاسعادها لكنه يتفق مع ستيفان في رأيه وسلوكه نحو الجنس الآخر. ولا شك أنه كان يعتقد أن تمسكها بالاسهم ليس فقط غير منطقي بل غير لائق أيضاً، لكنه لم يكن سيغضب كما غضب أخوه. وكان عليها أن تعرف تماماً أنه لن يقدم اليها مساعدة، لكنها كانت في حاجة إلى شخص تثق فيه لتبوح له بأسرارها. وبما أنها كانت تقضي مع نيكولاس معظم وقتها اعتبرته جديراً بذلك. وسألها:

«ألم تعرفي أن والدك يمتلك أسهماً في شركة ملاحة ميدوبوليس؟»

وأومأت كاترين وقالت:

«بكل تأكيد لكن بما أن الولدين هما ولدا ماريا، كنت أنتظر أن يرثا الأسهم ولذلك فوجئت عندما علمت من ستيفان أن والدي ترك الأسهم لي».

فقهقه نيكولاس عميقاً وقد بدا في عينيه السوداوين أنه سعيد بموقف أخيه الحرج ثم قال:

«ولا شك أن ستيفان فوجئ، أكثر عندما أخبره المحامي بذلك. فمركزه كوصيّ على الطفلين كان يمكّنه من وضع يده على الأسهم بطريقة آلية».

وأدارت كاترين رأسها ونظرت إليه برهة وهي تقلّب الأمر في ذهنها ثم قالت:

«هل كان ذلك سبب غضبه عندما رفضت بيع الأسهم له؟ وهل هو في حاجة إلى امتلاك مزيد من الأسهم؟»

فهز نيكولاس رأسه بالنفي وضحك ضحكة صفراء ورد قائلاً:

«لا، لا، لا. إنه صاحب النصيب الأكبر من الأسهم فهو في غير حاجة إلى المزيد. ولا يريد مساعدة الآخرين. لا يا جميلتي ما أغضب ستيفان هو أنه اضطر إلى التعامل معك أيتها الكرة النارية الصغيرة الحلوة».

وضحك مرة أخرى وتمطّى مثل قط ماكر خطير.

«وددت لو رأيت وجهه عندما رفضت طلبه. فالنساء لا يرفضن لأخي البكر شيئاً بل يحنين رؤوسهن طاعة ويعترفن بأنه على حق دائماً».

«ولكني لست منهن».

قالت كاترين هذا وقد رفعت ذقنها واحمر وجهها وهي تتخيّل مدى غضب ستيفان عندما رفضت طلبه.

ثم أردفت تقول بحسم:

«انا جادة فيما أقول يا نيكولاس هذا أمر لا يستهان به ولا يثير الضحك».

ونظرت كاترين إلى الجسم البرونزي المتمدد بجانبها على الرمال. وكانت عينا نيكولاس مغمضتين ويداه معقودتين وراء رأسه الأسود ويرتدي سروالاً قصيراً أبيض اللون.

كان الشاطئ، مكاناً مثالياً للسباحة، يبعد عدة أميال عن المنزل، ويقع في طرف الجزيرة. ومن يستلقي هناك يتصور أنه وحده على الجزيرة. وعلى شاطئها

الرمل الناعم الذي تحيط به الأحراش وأنواع الأشجار المختلفة التي تغطي معظم أرض الجزيرة.

وكانت مياه البحر زرقاء والنسيم يلطف حرارة الشمس ويجعلها محتملة.والواقع أن كاترين كانت حمقاء بمناقشة أمور مثل بيع الأسهم وخلافها مع ستيفان في ذلك المكان الهادىء الجميل الذي يوجد فيه كل ما يمكن أن تتمتع به. كما يوجد فيه نيكولاس لتتمتع معه. كان بالتأكيد واحداً من أكثر الشبان الذين عرفتهم في حياتها جاذبية وظرفاً، وكانت واثقة تماماً أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تتصور أنها غارقة في حبه مهما أوحى إليها عقلها بأن هذا شيء أبعد ما يكون عن الحكمة.

وكأن نيكولاس كان يقرأ أفكارها فتح عينيه وابتسم لها ومدّ يده وجذبها إليه بينما راحت عيناه الداكنتان تداعبانها لعبوسها وجديتها وقال لها هامساً:

«لا تكوني جادة عابسة. لماذا لا تبتسمين لي يا جميلتي؟»

فنهرته كاترين قائلة:

«نيكولاس!»

وعضت على شفتيها. فمنذ أخبرتها هيلين أن نيكولاس ينتظر أن يتزوج فتاة من عائلة بيدوبولوس عندما يحين الوقت المناسب وكاترين لا تشعر بالارتياح عندما يغازلها نيكولاس. وكانت تتذكر جيداً أن نيكولاس لا يتورع عن اللهو والعبث وخيانة خطيبته. وكان عليها أن تتذكر أن هذا الزواج ترتب بمعرفة ستيفان الذي يكره أن تفشل مشاريعه وخصوصاً إذا تسبب أي غريب في ذلك.

ثم شعرت بيده تلمس فمها بخفة لتسكتها عن الاحتجاج بينما أمسكت يده الأخرى بها وجذبتها إليه. وكانت يده قوية لا تقاوم وعيناه نصف مغلقتين تنظران بفتور إلى جسمها المتسق في رداء البحر الداكن.

وقال هامساً وهو يجذبها بشدة حتى قربت منه وشعرت بأنفاسه:

«إنك جميلة جداً. وليس لك أن تكوني جادة».

فردت عليه تقول:

«بل لا بد أن أكون جادة يا نيكولاس في هذا الموضوع».

«أبقي معي».

وبدأت تضعف. كان لنيكولاس تأثير عليها، ولكنها تذكرت تلك الفتاة المخطوبة له فوضعت يديها على صدره لتدفعه بعيداً عنها وتقاوم جذبه لها ولكنه همس في صوت رقيق:

«كاترينا... انسي الأسهم وانسي ستيفان يا جميلتي».

ثم عانقها بخفة وقال:

«من أجلي... أرجوك».

«نيكولاس!»

فتمتم ببضع كلمات يونانية جعلت كاترين ترتجف تأثيراً ثم اقترب وكان لديه طعم وقع كلماته اليونانية عليها.

وكانت كاترين أول من رأى ظلاً يقع عليها ويحول بين جسميهما وبين أشعة الشمس اللافحة، فعرفت تواً صاحب هذا الظل حتى قبل أن تفيق وتفتح عينيها لتراه أو تسمع صوته البارد المعروف يخاطب نيكولاس بلهجة جافة:

«هناك ضيوف يا نيكولاس».

ارتبك نيكولاس لظهور أخيه فجأة، لكنه حاول إخفاء ذلك بشجاعة طبيعية تساعده في مثل هذه المواقف. استدار ونظر إلى ستيفان من خلال عينين متظللتين بالسرور وتظاهر بعدم المبالاة وقال:

«حقاً؟ ومن؟»

فرد عليه ستيفان باقتضاب قائلاً:

«ليون بيدوبولوس وأبناؤه».

«أوه...»

امتعض نيكولاس وقام وهو يساعد كاترين على القيام ويزيل الرمل عن جسمه ثم أضاف قائلاً:

«المفروض مني في تلك الحالة أن أستقبلهما وأرحب بهما».

فرد عليه ستيفان بسرعة وقال:

«بالطبع».

ثم قال مشيراً لوجودهما معاً:

«أحسست بالمجيء إليك بنفسي ولم أرسل لك دبتري».

لكن نيكولاس تجاهل الاشارة وابتسم لكاترين وهو يسخط على زائريه قائلاً:

«أسرعي وارتدي ملابسك يا كاترين لنذهب إلى المنزل. انا آسف لأنني أفسدت عليك يومنا هذا يا جميلتي».

ردّ عليه ستيفان قائلاً بالصوت البارد نفسه الذي يعبر عن الاستياء:

«بل تذهب وحدك فهما لا يعرفان أنك مع كاترين وانا حريص ألاّ يعرفا لذلك جئت بنفسي لابلاغك بوجودهما. ارتد ملابسك واذهب وحدك لمقابلة آل بيدوبولوس وسأحضر كاترين بالسيارة بعد دقائق».

حاول نيكولاس أن يحتجّ لكنه عندما رأى البريق الصلب في عيني أخيه غيرّ رأيه ولم يعترض على شيء، بل هزّ كتفيه في استسلام وارتدى ملابسه، ولم يستغرق ارتداء الملابس فترة طويلة، ولم تتحرك كاترين لكنها وقفت بجوار ستيفان وراحت تزيل الرمل عن جسمها وتحاول أن تخفي رعشة يديها، وأدهشها هذا السلوك المستبد لكنها لم تشعر بالغضب بقدر ما أحست بالسعادة لاصراره على مرافقتها.

وارتدى نيكولاس قميصاً وبنطلوناً أبيض اللون ولبس حذاءه ومشط شعره بيديه واستدار قائلاً:

«سأراك ثانية يا جميلتي»

وبدا في عينيه أنه يضيق بسيطرة أخيه عليه.

وردّ ستيفان حاسماً قبل أن ترد عليه كاترين حتى بابتسامة:

«بل تستضيف خطيبتك وأباها. وسوف أعمل على أن تعود كاترين إلى المنزل بخير».

وكانت عيناه السوداوان تقيسانها، وتنظران إلى قوامها الرشيق وهي ترتدي ملابس البحر. ثم قال:

«وسوف أعمل كذلك على ألا تشعر كاترين بالملل بعد أن تحرم صحبتك».

ولم يرد نيكولاس على أخيه بل وضع نظارتيه واستدار وذهب إلى حيث وقفت سيارته. ثم ركب نيكولاس السيارة وقادها بسرعة فائقة أو هكذا

أدهشت كاترين بالرغم من تعرّج الطريق وضيقه. وكان واضحاً أنه بالرغم من غضبه وتبرّمه يطيع ستيفان طاعة عمياء. ومرة أخرى دهشت كاترين من الاستبداد التام الذي يطبقه ستيفان على أسرته.

وبعدما غابت سيارة نيكولاس خلف أول منحنى في الطريق، نظرت إليه كاترين بعينين برّاقتين يملأهما التحدي لتثبت أن سلطانه وجبروته لا يسريان عليها. كان رأسها يرتفع عالياً وهي تنظر إلى ستيفان وتتفرس في قسماته السمراء القاسية. ومرّت لحظة بدون أن تتكلم ثم انحنت والتقطت صندلها وارتدته وقالت:

«يمكنني العودة سيراً على الأقدام وحدي فلا تهتم بانتظاري. أشكرك».

وأتى الرد:

«لن تفعلي هذا».

كان صوته هادئاً بارداً ولكنه كان مسيطراً آمراً. ورفعت كاترين ذقنها وقالت بلهجة حاسمة واضحة:

«لست خائفة منك مثل نيكولاس يا ستيفان ولن أفعل ما تأمرني به وسأعود إلى المنزل سيراً على الأقدام وحدي».

كانت القوة والصحة في هاتين الكتفين العريضتين. وبدت صلابة جسمه ساحقة في قوتها حتى شعرت كاترين برجفة خوف عندما واجهت الغضب المتوهج في عينيه السوداوين. وقال لها بحسم:

«بل ستعودين في السيارة معي. كان في وسعي أن أرسل أحد الخدم للعثور عليك أنت ونيكولاس ولكني لا أريد إطلاع الخدم على أسرارنا. لم أتعود أن أجوب الجزيرة لأعثر على المكان الذي أخذك نيكولاس إليه. فعندما وصل بيدوبولوس وابنته فجأة استقبلهما غريغوري بينما جئت للبحث عن نيكولاس وقال غريغوري لهما إن نيكولاس يسبح وحده بينما تتنزهين أنت معي في السيارة».

وبدا كل شيء واضحاً أمام كاترين الآن. وتأكدت أن ستيفان لا يريد فشل مشروع زواج نيكولاس وقد بذل ما في وسعه ليمنع أثينا من اكتشاف وجود خطيبها مع امرأة أخرى.

ولم تكن الشهامة وحدها التي جعلته يصرّ على مرافقتها إلى المنزل، بل كان يود أن يؤكد قصته لآل بيدوبولوس، وتمتمت كاترين قائلة:

«فهمت».

ورد ستيفان ببرود:

«لا أعتقد أنك فهمت على الاطلاق. أثينا بيدوبولوس فتاة عادية وليس لها جمالك بالتأكيد، لكنها مغرمة جداً بنيكولاس. ولذلك لم أشأ أن أتركها تغضب عندما تراه راجعاً مع فتاة مثلك».

«مثلي أنا؟»

قالتها كاترين بحدة فقد ظنتها إهانة مستترة لها ولكن الدهشة بدت على وجه ستيفان لسؤالها هذا. ورفع حاجبيه الداكنين وقال بهدوء:

«إذا كنت فتاة أقلّ جمالاً، هل كنت تحبين رؤية خطيبك بصحبة فتاة جميلة لها شعر أحمر؟»

ومن العجب أن هذه المجاملة برغم أنه قدمها في برود وهدوء لكنها أثارت كاترين، وأخذ قلبها يخفق أسرع من المعتاد ونبضها يسرع في عروقها، بينما وقفت بجواره هناك على الرمل الأبيض. ثم تلفتت تبحث عن ملابسها وقالت وهي تكاد تلهث تأثراً:

«يجب أن أرتدي ملابسي».

ولكنه قال:

«لا داعي للعجلة فالوقت أمامنا واسع».

ومرة أخرى سمعت قلبها يخفق بسرعة عندما سمعته يقول «أمامنا» بلا كلفة. فنظرت إليه والفضول في عينيها والحمرة تكسو وجهها، وعندما واجهت الوهج العميق من هاتين العينين السوداوين قالت متسائلة:

«إنك تود أن تحكم اللعبة إلى آخر أبعادها وبكل تفاصيلها. فالمفروض أن أكون معك ولذلك يجب أن أرجع إلى المنزل معك».

«هذا يبدو شيئاً معقولاً في رأيي...»

فهزت كاترين رأسها وكان الفضول لا يزال واضحاً في عينيها. وقالت:

«ألا تتعب أبداً من التدخل في حياة الغير وإدارة شؤونهم بدلاً منهم؟»

ولعجبها لم يفقد ستيفان أعصابه كما توقعت بل ضم شفتيه قليلاً ورفع حاجبه متسائلاً:

«هل هذا ما تعتقدين؟»

فنظرت إليه كاترين برهة ثم قالت:

«تعرف جيداً أنك تفعل ذلك».

واعترف بهدوء قائلاً:

«عليّ مسؤوليات معينة ويجب أن أبتّ في القرارات التي أراها مناسبة لعائلتي».

«حتى القرارات الخاصة بالزواج؟ ومن يجب أن يتزوجوا... سواء وافقوا أو لم يوافقوا».

وودت كاترين لو قطعت لسانها ولم تفه بتلك العبارات فقد طغى الغضب على وجهه واكفهرت قسماته. رأت كاترين ستيفان غاضباً من قبل عندما رفضت بيع أسهمها له في شركة ميدوبوليس لكنها الآن وهي تنتقد سلوكه مع عائلته شعرت أنها تجاوزت كل حدود اللياقة، فوقف صامتاً لا يتحرك لمدة طويلة، تمنت كاترين فيها أن تغرب عن وجهه، لكنها كانت لا تزال بملابس البحر، ثم أين المفر؟ فالجزيرة كلها ملكه وهي مملكته وأخيراً أدركت معنى كلمات هيلين عندما اشارت الى ان للجزيرة قضباناً خفية تطبق على من فيها وتجعلها سجناً.

توهجت عيناه الداكنتان البراقتان وكأنهما قطعتان من العقيق الثمين وهما تحدقان فيها... كان فمه مستقيماً مزموماً تبدو عليه القسوة، كما تبدو في اليدين الكبيرتين اللتين تكورتا في قبضتين قويتين وتركهما إلى جانبيه. وقال في صوت صارم بارد:

«احمدي الله أنك لست من أفراد عائلتي. فتدخلك في الأمور التي لا تعنيك أمر لا يغتفر ولن أحتمله. ومع ذلك...»

وهز كتفيه العريضتين ثم أردف قائلاً:

«بما أنك لست من عشيرتنا ولا تفهمين أسلوبنا في الحياة فيجب أن أغفر لك بعض أخطائك، ولن أفعل شيئاً هذه المرة».

وشعرت كاترين بارتجاف أطرافها وجسمها كله وهي تواجهه، وتساءلت هل

يمكن أن يكون هذا المشهد حقيقياً أم أنها تحلم. ولكن هذا المارد الكريه الواقف أمامها حقيقي وغضبه حقيقي. وشعرت فجأة الأ حول لها ولا قوة برغم تصميمها ان تبقى خارج سيطرته»

وبدأت تقول:

«لن تقدر...»

لكنه انحنى والتقط ثوبها الأخضر وقدمه اليها قائلاً:

«ارتدي ملابسك».

وبعد برهة تردد تناولت الثوب فلم يكن في وسعها إلا طاعته. فارتدت ثوبها، لكنها لم تتمكن من قفله اذ كانت فتحته من الخلف ولم يكن في وسعها الوصول إليها، ولم يكن في نيتها اللجوء إليه ليساعدها فقد شعرت بضيق شديد من طريقة معاملته.

ولم تستعمل كاترين صباغاً لوجهها ولم تهتم بتمشيط شعرها، ثم استدارت وسارت نحو الطريق المنحدر.

وسمعته يناديها فالتفتت اليه وكان تعبير وجهها بارداً لا يبشر بالود.

«كاترين، أظن أنك لا تقصدين الرجوع إلى المنزل هكذا».

وأشار إلى الثوب فهزت كاترين كتفيها وهي تتعمد عدم الاكتراث وقالت:

«لا حيلة في ذلك فليس في وسعي اقفاله».

وسألها:

«وماذا كنت ستفعلين لو كان نيكولاس معك؟»

وشعرت كاترين أن الدم صعد الى وجهها ونظرت إلى الجهة الأخرى. وبدون أن ينطق كلمة أخرى أدار ستيفان كاترين فارتجفت وتلاحقت خفقات قلبها وهو يقفل ثوبها. كان قلبها يخفق بشدة عندما شعرت بأصابعه.

وسألت نفسها هل مهارته ترجع إلى تمرسه في هذه الأمور وهو شيء، لم يخطر في بالها أبداً؛ ولكنها أبعدت هذا الخاطر من ذهنها بسرعة لأنها شعرت أنه سبب لها قلقاً لا مبرر له، فمن المحتمل أن يكون تصرف ستيفان كتصرف أي رجل آخر في موقفه، خاصة أنها سمعت قصصاً كثيرة لا تصدق عن مغامرات الرجال في الجزر اليونانية. فالتفكير فيه بهذه الصورة كان يثير قلقها، وودت لو فكرت

في ستيفان كمجرد وصي على الطفلين ومضيفها.

وعندما رفع ستيفان شعرها عن عنقها كي يكمل اقفال الثوب لامست أصابعه جلدها الناعم برقة مما جعلها ترتجف وتعض شفتها بشدة.

ثم قالت له في صوت ينم على مدى تأثرها به وشعورها بقربه:

«شكراً لك».

ولكنه ظل صامتاً فترة ويداه على كتفيها وظلت ترتجف وتتطلع إلى ما سوف يحدث وشعرت بيديه على كتفيها ودفء كفيه وقوتها وهما تتقلصان في قبضة ارتاحت لها ولم تؤلمها. ثم قال لها برقة:

«لن تقولي إنك كنت مع نيكولاس».

ولم يكن قوله هذا سؤالاً بقدر ما كان أمراً. وكان صوته عميقاً ومقنعاً كصوت نيكولاس ولكنها استجابت له بصورة أقوى وأعمق.

وشعرت كاترين بضعف وغشتها رغبة عارمة بأن تغمض عينيها وتستند اليه. ثم قالت له:

«لن...»

لم تكن تعرف ما تقول وقد منعتها يداه القويتان من القيام بأي حركة. كانت أصابعه لا تتظاهر بالرقة الآن عندما ضغط بشدة على كتفيها وقال بصوت قاس يحذرها:

«لا تتسببي في غضبي يا كاترين مرة أخرى وأطيعي أوامري من فضلك».

وعندما لم ترد أدارها بعنف لتواجهه، وبدون أن تشعر استندت كاترين اليه وألقت بشعرها الأحمر إلى الخلف لكشفت عن عنقها العاجي الناعم ولمعت عيناه لحظة ثم أحنى رأسه وعانقها قائلاً:

«كاترين...»

وكان صوته عميقاً وقبضت أصابعه على ذراعيها بشدة وهو يجذبها إليه، وشعرت بتوتر عضلاته كأنه يحاول المقاومة، ثم لفت ذراعيها حول عنقه وأغمضت عينيها. وضمها إليه ولكنه سرعان ما أطلقها فجأة وراح ينظر إليها بنظرات برّاقة مما جعلها ترتجف. ثم تساءلت قائلة:

«ستيفان!»

وظنت لحظة أنه سيتركها ويغادر المكان عندما أدار لها ظهره، ولكنه تقدم بضع خطوات ثم استدار ثانية وراح ينظر إليها في ثبات إلى أن غضت نظرها. ثم قال لها بهدوء:

«آسف».

وطرفت عينا كاترين لأنها لم تتوقع ذلك وقالت بسرعة:

«ولماذا تأسف؟»

أدهشها هذا الاعتذار، فلم تكن تتوقعه، كان آخر شيء، تود أن تسمعه منه. ثم قال بصوت هادئ، بارد النبرات:

«يجب عليّ أن أعتذر فلم يكن من الصواب أن أنتهز الفرص هكذا».

«ولكنك لم تفعل ذلك».

هكذا نفت كاترين بسرعة وتهوّر، ونظرت إلى وجهه الأسمر المتعجرف ذي القسمات القوية بشيء من التحدي، وشعرت كأنه يعاملها كفتاة صغيرة لم يقبّلها أحد من قبل. ولم تكن هذه هي الحقيقة فحياتها لم تخل من المغامرات والقبلات، لكنها لم تصادف هذه الطريقة المثيرة من قبل. ولذلك قالت:

« نيكولاس لا يعتذر إذا عانقني».

قالت ذلك وهي تنظر إليه من خلال أهدابها الكثيفة وتتساءل لماذا تندفع وتتهور هكذا؟

فقطب ستيفان حاجبيه وتحوّل بريق عينيه إلى غضب لكنها لم تقصد الاساءة إليه فرد بحدة قائلاً:

«لا شك أنك تتكلمين من صميم تجاربك وواقع مغامراتك وأنا لست نيكولاس ولا أمارس ألعاب الأطفال يا كاترين».

«وهل تعتقد أنني أمارسها؟»

هناك شيء، لا تستطيع مقاومته يدفعها الى الكلام، وكانت تعرف أنها تتكلم منه بطريقة صبيانية، وكان يبدو على ستيفان أنه يعلم ذلك أيضاً وقال:

«لا أدري أي نوع من الألعاب هذا وليس من حقي أن أعلم».

قال ذلك برقة غير متوقعة ومد إحدى يديه ولمس خدها بخفة مؤثرة.

«ولكن يا ستيفان إنني...»

وكانت كاترين تريد أن تخبره أنها لا تعترض وأنه لا حاجة إلى الاعتذار، لكنه لم يكن ليستمع إليها بل وضع أصبعه على شفتيها وهز رأسه وقال برقة متوسلاً:

«انسي الأمر كله يا كاترين. إنك لا تدرين مدى تأثيرك عليّ وبالرغم من رأيك فيّ فإنني لا آخذ ما أريده عندما أريد ولا أنتهز الفرص أبداً».

وجذبها من يدها وهو يقول... هيّا... سنعود الآن الى المنزل.

٦ ـ دقائق الامور

أخبر نيكولاس كاترين أن زيارات أثينا بيدوبولوس ووالدها المتكررة إلى الجزيرة شيء غير عاديّ وشعرت كاترين بعدم الارتياح وتساءلت إذا كان السبب وجودها في المنزل.

وكان ستيفان يبارك هذا الزواج بقلبه وليون بيدوبولوس يتمنى أن يرى ابنته زوجة لأحد أفراد عائلة ميدوبوليس الواسعة الثراء. ولذلك حرص الجميع على أن يتمّ هذا الزواج وأن يتلافوا فشله بكل الطرق.

ومن يدري ربما كان سبب تعدد هذه الزيارات اقتراح ستيفان نفسه، الذي كان يوَدّ ألاّ ينسى أخوه الأصغر نيكولاس واجباته حيال خطيبته، وايّاً كان المسؤول عن ذلك فإن نيكولاس لم يكن يستسيغ هذا الأمر إطلاقاً. فمنذ فاجأ ستيفان نيكولاس وكاترين على الشاطىء، زارت أثينا ووالدها الجزيرة مرتين في مدة تزيد قليلاً على الأسبوع، وهذا ليس كثيراً على شخص يحب خطيبته ويسعد لرؤيتها ولكن نيكولاس لم يكن كذلك.

واشتاقت كاترين الى صحبة نيكولاس الذي كانت تقضي معه معظم وقتها، ومن دونه شعرت بالضياع، خصوصاً أن الولدين أصبحا في رعاية كاسيا معظم الوقت، ولم تلق كاترين أي تشجيع من هيلين لتكون قريبة منها. أما غريغوري فكان يمضي وقته مثل ستيفان طائراً من وإلى الجزيرة مشرفاً على مكاتبهم العديدة.

لمحت كاترين، في طريقها إلى غرفتها بعد الظهر، السيدة ميدوبوليس،

فالتفتت إليها بابتسامة، وكانت كاترين قد أحبت هذه السيدة العجوز لطيبتها ورقتها، لكنها دهشت عندما وجدتها تشير إليها بالاقتراب وسمعت وقع خطواتها على أرضية البهو الكبير عندما استدارت واتجهت نحوها. حتى بعد مضي خمسة أسابيع قضتها في الجزيرة، كان البهو يوحي بأنه متحف يوناني وكان يبث في نفسها شعوراً بالرهبة. وتقدمت إلى السيدة العجوز قائلة:

«سيدتي.»

قالت كاترين هذه الكلمة وهي تنظر إلى السيدة متسائلة، فتفرست فيها السيدة ميدوبوليس وابتسمت قائلة:

«هل تسمحين لي أن آخذ من وقتك قليلاً يا كاترينا؟»

وكانت مدام ميدوبوليس كابنها نيكولاس ينطقان اسمها باللغة اليونانية. وتساءلت كاترين إذا كان هذا أسهل لها أم لأنها لاتتكلم الانكليزية بطلاقة عكس أولادها. فردت كاترين عليها قائلة:

«بكل تأكيد ياسيدتي.»

ودهشت كاترين لكنها تبعت السيدة إلى غرفة جلوسها الخاصة، التي كان دخولها وقفاً على الصفوة من أفراد العائلة كما أخبرها نيكولاس مرّة وشعرت بالارتباك وخفق قلبها سريعاً بلا سبب واضح.

كانت الغرفة أصغر من أي غرفة رأتها كاترين في المنزل، لها طابع تركي صرف، وكانت أرضية الغرفة مغطاة بأفخر السجاد، والمساند مصنوعة من الأقمشة الفاخرة ورائحة الزهور تملأها ونكهة القهوة التركية تعطيها طابعاً غريباً.

وتدلى النجف البرونزي الفخم من السقف، ولم يكن يتسرب إلى الغرفة سوى قليل من أشعة الشمس من خلال النوافذ الخشبية المغلقة. وكان الجو ساخناً خانقاً، لكنه رائع، وراحت كاترين تنظر إلى محتويات الغرفة بعينين يملؤهما الفضول.

«هل راقت لك غرفتي؟»

سألتها السيدة ميدوبوليس برقة وهي تبتسم كأنها تعرف الجواب مقدماً

فأومأت كاترين. وعادت السيدة العجوز تسألها:

«وهل تشربين القهوة معي؟»

فهزت كاترين رأسها بسرعة نافية لأنها لم تستسغ طعم القهوة التركية أبداً بل ما رادت أن تشعر السيدة ميدوبوليس بذلك فقالت بسرعة:

«لا شكراً ياسيدة ولكني أجد غرفتك رائعة وأشعر بفخر لدعوتك.»

ظهر شبح ابتسامة في عيني السيدة السوداوين وقالت لها:

«أولادي لايعتبرون وجودهم فيها فخراً بالإبنتي، كانوا يأتون إليها لينالوا حظهم من التأنيب!»

وكانت الغرفة تحتوي عدداً من المقاعد لكن كاترين حذت حذو مضيفتها فتربعت على المساند المنتفخة وثنت قدميها تحتها وقالت وهي تبتسم:

«أتمنى ألاّ أنال أنا ايضاً حظاً من التأنيب.»

في الغرفة المعتمة اكتسى وجه المرأة بشيء، من الجدية رغم ابتسامتها العذبة فشعرت كاترين بالخوف والتقلّص في معدتها. كانت تتصور انها اختطفت ووضعت مع «الحريم» برغم أن هذه الفكرة بدت مضحكة. فردت السيدة ميدوبوليس بصوت خفيض ولكنتها الأجنبية القوية:

«ربما لاتنالين عقابا بالرغم من أنك فتاة بلهاء ياصغيرتي. ألست كذلك؟»

فنظرت إليها كاترين بقلق فوجودها في الجزيرة منذ أكثر من شهر علّمها أن تتقبل كل ماتتوقعه ومالا تتوقعه. لكنها شعرت في تلك اللحظة بالقلق لجهلها سبب استدعائها من قبل السيدة ميدوبوليس. ثم قالت:

«لا أفهم ماتقولين ياسيدتي.»

فنظرت إليها مدام ميدوبوليس وكانت نظراتها نفاذة ثابتة ذكرتها بنظرات ستيفان. ثم قالت برقة:

«أظن أنك تفهمين كل شيء ياكاترينا.»

وتضاربت الأفكار في رأس كاترين. هل هو نيكولاس واهتمامه بها؟ هل لاحظت السيدة العجوز ذلك وكان يجب عليها ألا تشجعه أبدا أرادت أن تبرئ

نفسها وتؤكد للسيدة أنها لاتنوي إيقاعه... فبادرت تقول:

«إذا كنت تقصدين نيكولاس ياسيدتي... في وسعي أن...»

فقاطعتها السيدة العجوز وهي تهز رأسها بهدوء قائلة:

«لا أتكلم عن نيكولاس بل عن ستيفان.»

«ستيفان؟»

لم يكن أحد غيرها هي وستيفان يعرف شيئاً عما دار بينهما على الشاطئ، منذ أسبوع، ومع ذلك فقد أحمرّ وجه كاترين عندما تذكرت ماحدث يومها. مما جعل السيدة ميدوبوليس تدقق النظر فيها وتتعجب لذلك فسألتها مدام ميدوبوليس بهدوء:

«ألا تعرفين ماذا أعني؟»

فأشاحت كاترين عينيها ولم تقو على النظر إلى السيدة وقالت:

«لا ياسيدتي.»

ومرت لحظة صمت سادت الغرفة الساخنة الخانقة، وتمنت كاترين من كل قلبها لو أنها تذرعت بأي سبب ولم تطع المرأة وتحضر معها إلى هذه الحجرة، لكن مدام ميدوبوليس كانت عازمة على معرفة سبب اضطراب كاترين مما جعل الدم يصعد إلى وجنتيها كالتلميذة الصغيرة عندما تذكرت هذا ، وأخيراً قالت لها برقة:

«الخجل يبدو عليك يا كاترينا ويضفي عليك جاذبية، وأنا لاأدري لذلك سبباً عندما أذكر اسم ولدي أمامك.»

واعترضت كاترين قائلة:

«ياسيدتي إنك تبالغين في الأمر لا أشعر بالخجل بل أجد أن جو الغرفة حار جداً هذا كل مافي الأمر.»

«فهمت الآن.»

وراحت يداها تنسقان زهور الميموزا في آنية الفخار الكبيرة الى جانبها.

ثم استطردت تقول:

«لا بد أن نيكولاس هو الذي يجذبك بالطبع. أليس كذلك؟»

وقالت كاترين بحلم:

«إني أعجب بنيكولاس ولكنه مرتبط بالآنسة ميدوبولوس فهو خطيبها بالطبع.»

وكررت السيدة العجوز كلمتها الأخيرة وقالت:

«طبعاً وأنها فتاة لطيفة مع أن نيكولاس لم يقتنع بعد بهذه الحقيقة.»

«إذا كان....»

وعضت كاترين شفتها بسرعة. ولم تكمل كلامها فلن تجرؤ على انتقاد أسلوب زواجهم أمام السيدة ميدوبوليس. فهي لابد أن تويد ستيفان، وكذلك ما بدر عنه عندما انتقدت ذلك الأسلوب. وسألتها السيدة ميدوبوليس برقة وعيناها الداكنتان تبرقان عندما رأت أن ماخمنته صحيح:

«ألا تؤمنين بتقاليدنا في الزواج؟ ولكني أرى أنها الطريقة الأفضل ياكاترينا.»

وأجابت كاترين:

«ربما كانت الطريقة المثلى للذين اعتادوها.»

وطمأنتها السيدة العجوز برقة قائلة:

«أنا متأكدة شخصياً أنها تجلب السعادة للجميع.»

ودخلت الريبة قلب كاترين فجأة لتقلقها، ونظرت إلى السيدة العجوز بخوف وحذر وقالت لها:

«أتمنى ألا يحاول ستيفان التدخل في تدبير أمر زواجي أنا ايضاً.»

ومرة أخرى ظهرت في عيني المرأة نظرة فاحصة فأرادت أن تطمئنها. فقالت لها:

«لا أظن أنه سيفعل ذلك برغم أنه قد يؤثر على اختيارك.»

وأجابت كاترين بحسم:

«مستحيل.»

ثم نظرت إلى السيدة العجوز بقلق فابتسمت السيدة وأكملت كاترين كلامها:

«ولكن ليس هذا ما أردت التحدث معي عنه أليس كذلك سيدة ميدوبوليس؟»

وفجأة خفق قلبها خوفاً وصممت أن تهرب من الجزيرة بأي طريقة إذا أصرّ ستيفان على أن يختار لها زوجاً بنفسه.

«لا ياصغيرتي، هذا ليس ما أردت التحدث معك عنه.»

فسألتها كاترين:

«ماذا إذن ياسيدتي؟»

وبدت على سمات المرأة صرامة ذكرتها بستيفان فنظرت إليها بقلق، وكانت عيناها الداكنة التي تشبه الصقر تجعلها تشعر بضآلة، وهو الاحساس الذي اعتادته وهي مع ستيفان. ثم قالت السيدة بتمهل:

«إنك تمتلكين بعض الأسهم في شركة ميدوبوليس.»

فشعرت كاترين بالدم يصعد الى وجهها وكانت تشعر بالغضب هذه المرة وقالت موافقة:

«نعم.»

وبانت في عينيها الخضراوين نظرة تحد لاحظتها السيدة ميدوبوليس على الفور.

«ولا تعتزمين بيعها إلى ستيفان؟»

وأقرت كاترين بعناد:

«لن أبيعها.»

وفكرت كاترين أن تدوس على كرامتها وتبيع الأسهم إلى ستيفان، ولكنه سأل والدته المساعدة وحاول السيطرة عليها بطرق ملتوية، لذلك لن تلين له أو تطاوعه.

ومدت المرأة يدها وأخذت يدي كاترين بينها. كانت اليدان صغيرتين جافتين ولكنها برغم ذلك حاسمتان في قبضتها، وقالت لها وجهها المجعد بقسماته التركية يقترب من كاترين في محاولة لاقناعها والتأثير عليها:

«الأسهم لن تفيدك بشيء، فلن يمكنك حضور اجتماعات مجلس الادارة كما كان

يفعل والدك.»

وقالت كاترين تجادلها:

«لا أرى ما يمنعني من ذلك.»

فهزت السيدة ميدوبوليس رأسها وارتسمت ابتسامة صغيرة ساخرة على شفتيها وقالت:

«إنك لاتتكلمين اليونانية أو تفهمينها ياصغيرتي، فكيف يمكنك متابعة ما يدور في المجلس؟»

وضغطت بأصابعها النحيلة على يديها في محاولة لاقناعها واستطردت قائلة:

«وافقي ياصغيرتي ودعي ستيفان يتولى هذه الأمور بنفسه.»

«تقصدين بدلاً مني؟»

ولم تخطر هذه الفكرة لها من قبل ، ووجدت كاترين أنها طريقة مثلى للخروج من هذا المأزق فهي تحفظ كرامتها وكرامة ستيفان في الوقت نفسه.

وقالت السيدة:

«هل ستوافقين إذا كان هذا هو الحل الوحيد؟»

ونظرت كاترين إليها بثبات، وسألت نفسها في دهشة كيف يقبل ستيفان هذا الحل الوسط، وسألت السيدة ميدوبوليس:

«وهل يقبل ستيفان هذا الحل ويوافق على هذه الشروط؟»

ابتسمت السيدة ميدوبوليس فبدت على وجهها آلاف التجاعيد، وبرقت عيناها السوداوان وقالت:

«إنها خطوة على الطريق السوي.»

ومرة أخرى جاءت أثينا بيدوبولوس ووالدها لتناول العشاء مع الأسرة، ومرة أخرى أتيحت لكاترين فرصة رؤية الفتاة التي سوف يتخذها نيكولاس زوجة له والتي اختارها ستيفان له.

كانت أثينا فتاة عادية كما قال ستيفان مع أن كلمة عادية وصف ظالم. لهذا كانت تتمتع بلطف يجعلها محببة إلى النفس. وكانت متوسطة الطول

يميل قوامها إلى الامتلاء، عيناها سوداوين جميلتين.

كان ستيفان على حق عندما قال انها تحب نيكولاس بل كانت في الواقع تعشقه. وشعرت كاترين بالعطف عليها لأنها تعرف نيكولاس جيداً، وفهمت لماذا قال ستيفان ذلك اليوم على الشاطئ، انه لا يريدها أن تعود إلى المنزل مع نيكولاس حتى لاتراهما أثينا معاً فينتابها القلق. ولكن إذا تزوجت أثينا بنيكولاس فلا بد أن تعرف أنه ينجذب إلى الجنس الآخر، ولن يكون أمامها إلا أن تستسلم لهذه الحقيقة.

وكان من العادة إذا جاء ضيوف لتناول العشاء أن يتغير نظام جلوسهم حول المائدة، فلم تجلس كاترين بجانب نيكولاس كالمعتاد لكنها وجدت نفسها جالسة بين غريغوري والسيد بيدوبولوس. أما نيكولاس فجلس في مواجهتها بجانب أثينا الأمر الذي لم يكن يرتاح له.

وكان من العادة أيضاً إذا جاءهم ضيوف أن يرتدي الجميع ملابس رسمية فبدا ستيفان ببدلته السوداء، وقميصه الأبيض قوي البنيان لم تر له كاترين مثيلاً ولا حتى في نيكولاس نفسه. وكانت ملابسه تضفي عليه مسحة من الرومانسية برغم غطرسته أو ربما بسبب غطرسته، وبدا كعملاق شرقي مهيب فتأثرت كاترين بهيبته كثيراً.

وكان السيد بيدوبولوس لايكلمها إلا قليلاً في المرات السابقة عندما تلاقيا، وذلك بسبب انشغاله في الحديث الجاد مع مضيفه الذي جاوره على رأس المائدة. ومع ذلك انتبه الى ان نيكولاس أكثر من مرة يحاول لفت نظر كاترين إليه، الأمر الذي اعتبرته كاترين متهوراً، بينما كانت هي تعمل كل ما في وسعها لتتصرف بحكمة ولا تشجعه على التحديق بها.

جو غرفة المائدة الفخم ازداد فخامة في وجود الضيوف، فمفارش المائدة ناصعة البياض والأواني الفضية تعكس الضوء والزهريات تملأها الزهور ذات الرائحة الزكية.

وحتى بعد هذه الأسابيع العديدة التي قضتها كاترين في الجزيرة كانت

تشعر أنها في جو خيالي حالم. الطعام خليط من المآكل اليونانية والتركية، تقدم بكميات وافرة وتخللته مشهيات مثل اللبنا وهي جبن تريش لها طعم يميل إلى الحموضة قليلاً، ومحشو ورق العنب والفسولها وهي مجموعة من الخضروات المحشوة بالأرز واللحم، والمسقّعة والكفتة أو كرات اللحم المتبل التي أحبتها كاترين كثيراً.

وأعقب ذلك كله الحلوى من الفطائر والملبن التركي والفاكهة الطازجة بجميع أنواعها، أما القهوة التركية القوية فرفضتها كاترين عندما قدمت لها لأنها لا تستسيغ طعمها.

وعلى عكس اليوم الأول من وصولها الى الجزيرة حين كانت ترتدي ثوباً بسيطاً شعرت بالحرج لارتدائه، كانت كاترين ترتدي الليلة ثوباً طويلاً ذا أكمام واسعة أخضر كلون الزمرد، مطرزاً بأسلاك ذهبية تناسب بشرتها البيضاء وشعرها الأحمر.

ذلك الثوب أهداه نيكولاس لها بعد إحدى زياراته إلى قبرص لاشرافه على مكاتبهم هناك، وترددت في قبول الهدية لكن إغراء الثوب كان أقوى من ترددها.

وارتدت كاترين الثوب لأول مرة وهي تشعر أنه لم يكن من الحكمة أنها ارتدته. فنيكولاس لم يكف عن النظر إليها طوال السهرة. ومن الظاهر أنه استشف معنى خاصاً من وراء ارتدائها الثوب الذي أهداه لها.

كذلك لم تفت كاترين نظرة ستيفان... كانت نظرة خاطفة تدل على إعجاب واضح لايمكن أن تخطئها ، وذلك عندما نزلت لتنضم إلى بقية أفراد الأسرة لتناول المشروبات قبل العشاء... والواقع أن النظرات الفاحصة المتيّمة من هاتين العينين السوداوين جعلت نبضها يسرع على نحو أثارها وأخافها في الوقت نفسه ربما كان ذلك راجعاً إلى تأثير الثوب الجميل الجديد، ولكن لابد أن تعترف بأنها أحست بالارتباك والسعادة عندما وجدت ستيفان يحملق فيها مرّة أو مرّتين أثناء العشاء. ومن المؤكد أن نظراته التي كانت تنم عن الفضول من ناحية وعن عدم التشجيع من ناحية أخرى بعثت في نفسها شعوراً عميقاً بالفرح.

nlo

وسمعت ليون بيدوبولوس يقول لها فجأة:

«هل تروق لك بلادنا يا آنسة غرانجر؟»

فظلت برهة تحدق فيه بغموض قبل أن تجيبه وهي تبتسم قائلة:

«لم أر شيء في اليونان نفسها بعد ياسيد بيدوبولوس. كل ماعرفته أني هبطت من الطائرة في نيقوسيا ومن يومها لم أغادر داكوليس أبداً.»

وخيل إليها أن ستيفان لم يبد مرتاحاً إلى قولها هذا وكأنه اعتبره انتقاداً موجهاً لكرمه وضيافته. أما هيلين فنظرت إليها وكأنها تقول لها: حذرتك سابقاً من القضبان الخفية التي تحيط بالجزيرة وتجعلها سجناً. لكنها لم تكن تقصد توجيه أي انتقاد ونظرت إلى ستيفان وتساءلت إذا كانت تستطيع إقناعه بذلك.

وقال ستيفان بصوته البارد الهادئ:

«لم أدرك ابداً أنك تودين السفر خارج الجزيرة. وإذا أردت الذهاب إلى نيقوسيا لمجرد التغيير والترويح عن النفس فليس هناك مايمنعك من ذلك.»

ابتسمت كاترين له والأمل يملأها، ولمعت عيناها الخضراوان لحماسها وخفق قلبها مرة أخرى عندما طالت نظرته إليها والتقت عيناها. ولم يؤثر على ذلك أي إحساس يكون قد انتابها بالسخرية من نفسها. ربما كانت مجرد فتاة حمقاء... ولكن تأثير هاتين العينين السوداوين عليها كان يثير ارتباكها، ولم يخطر في بالها لحظة واحدة أنها شخص حرّ يستطيع مغادرة الجزيرة في أي وقت. وقالت له:

«أوه... كم أود الذهاب ياستيفان إذا أمكن ترتيب ذلك.»

وبدأ نيكولاس يقول:

«ويمكنني أن...»

ولم يكمل حديثه بل أسكتته نظرة خاطفة ماهرة من أخيه الذي قال لكاترين:

«لدي بعض الأوراق تحتاج إلى توقيعك، فإذا استطعت الاستعداد للسفر غداً وقت ذهابي إلى قبرص يمكنك أن تأتي معي وهكذا...»

وهز كتفيه العريضتين وهو يتذكر المثل القائل:

«تضرب عصفورين بحجر واحد.»

ونظرت كاترين إليه بتعجب وقالت:

«أي أوراق؟»

ورفع ستيفان حاجبيه ورد عليها بهدوء:

«بعض التنازلات بخصوص الأسهم... على ما أعتقد.»

«أوه ـ نعم بكل تأكيد.»

وكانت قد نسيت تماماً مقابلتها مع مدام ميدوبوليس منذ يومين والنتيجة التي توصلنا إليها، لكن يبدو أن ستيفان يريد إعطاء الاتفاق صيغة رسمية نهائية بأسرع وقت. سألها وعيناه السوداوان تتحديانها أن تغيرّ رأيها:

«لم تغيري رأيك؟»

وبسرعة هزت كاترين رأسها بالنفي ونظرت إلى السيدة ميدوبوليس فرأت نظرات العجوز هادئة مسالمة، لكن كاترين اضطربت بلا سبب واضح.

وكان ليون بيدوبولوس يتابع المناقشة بفضول واهتمام، ثم التفت إلى كاترين وعلى وجهه ابتسامة خاطفة مهذبة وسألها:

«هل تملكين أسهماً في شركة ميدوبوليس للملاحة يا آنسة غرانجر؟»

ولاحظت كاترين أن هذا السؤال قد ساء ستيفان الذي قطّب حاجبيه بسرعة. فردت كاترين قائلة وهي تتلعثم:

«نعم، ترك لي والدي بعض الأسهم.»

«نعم ـ طبعاً تركها والدك لك وهذا يخالف العرف، فالنساء هنا لا تهتم بتلك المسائل يا آنسة غرانجر.»

قال ذلك بهدوء وهو ينظر إلى ستيفان نظرة متسائلة.

ضحكت السيدة ميدوبوليس برقة وقالت وهي تلمس كاترين بيدها النحيلة وتقول بلكنتها الأجنبية القوية:

nlo

«كل شيء يتغير في هذه الدنيا يا ليون، وكاترين فتاة عاقلة.»

«يبدو ذلك.»

قالها ستيفان مستمداً رأي والدته بابتسامة غامضة. ومرة أخرى التقت نظراتها فشعرت كاترين برجفة، ثم أردف يقول:

«أرجو أن تكوني مستعدة صباح غد يا كاترين...»

وأكدت كاترين بسرعة:

«نعم سوف أكون مستعدة. متى تنطلق؟»

ثم التقت نظراتها ثانية وقال:

«بعد العاشرة بقليل، وأنصحك أن ترتدي ثوباً خفيفاًفالجو يكون عادة حاراً في المدينة، هذا الوقت من السنة.»

«نعم بالطبع.»

وكانت فرحتها كبيرة لمجرد فكرة ذهابها إلى قبرص مع ستيفان، وعبثاً حاولت أن تقنع نفسها أن سبب فرحتها هو مجرد التطلع إلى رؤية مكان جديد. بل كان يسعدها فعلاً أن تقضي ولو بضع ساعات في صحبة ستيفان، ولم تحاول إخفاء هذه الحقيقة عن نفسها.

لكن نيكولاس لم يخف غضبه لعدم تمكنه من اصطحابها في تلك الرحلة.

وعندما غادر بيدوبولوس وابنته الجزيرة بعد العشاء خرج ليبحث عنها في الحدائق، وكان يبدو عابساً غاضباً حتى أنها لم تستطع إلا أن تبتسم، وعندما وجدها وهي تسير بين أشجار السرو الرابضة على جوانب البحر قبض على ذراعها بشدة وقرّب رأسه الأسود من رأسها. كانت أنفاسه الدافئة تلفح أذنها عندما تحدث، وتمنت كاترين ألا يقترب منها على هذا النحو ولم يمض على مغادرة خطيبته الجزيرة سوى بضع دقائق فقط.. شعرت بالذنب عندما تذكرت أثينا ومدى حبها العميق لخطيبها.

«قولي لي يا كاترينا انك تفضلين الذهاب معي إلى قبرص.»

قال ذلك وعيناه تبرقان في ضوء القمر فردت عليه كاترين قائلة:

«ولكن لايضايقني الذهاب مع ستيفان وهي في أي حال رحلة عمل يانيكولاس، رغم أنني سوف أروح عن نفسي كذلك.»

وضحكت برقة عندما قرأت في عينيه نظرة عتاب ورد وقد بدا العبوس واضحاً على وجهه:

«مع ستيفان؟ ولا بد أن أحذرك من أخي البكر فهو يختلف عني كثيراً ياكاترينا.»

«ولكنه أكثر منك جدية بالتأكيد.»

ولكن كاترين لم تفهم المعنى المستتر وراء قوله. فحذرها مرة أخرى قائلاً:

«وهو أيضاً لايهتم بالفتيات الصغيرات مثلك.»

ولمعت عيناه في ضوء القمر، وشعرت كاترين أنه يريد مصارحتها بشيء، وتمنت ألا تشعر بأي ذرة من القلق لذلك. وسألته:

«لست صريحاً معي؟ وكلامك لايعني شيئاً لي.»

ثم خرجت من ظلال الأشجار إلى ضوء القمر الأصفر الكبير الذي كان يسبح في سماء بنفسجية اللون. وتقلصت أصابع نيكولاس على ذراع كاترين وقبضت عليها بشدة. ثم قال لها برقة:

«أتظنين أنني لم ألاحظ تلك النظرات التي كنت تلقينها إلى ستيفان عندما ظننت أن أحداً لايراك ياجيلني؟»

كان قريباً منها وأحست كاترين بالدم يتدفق إلى وجنتيها وهي تبتعد عنه بسرعة وتخلص ذراعها من قبضته. وقالت له بصوت خافت لاهثة:

«لابد أن لك خيالاً واسعاً يانيكولاس، فلم أنظر إلى ستيفان نظرات ذات معنى خاص. لماذا تعتقد أنني كنت أفعل ذلك؟»

فهز نيكولاس كتفيه العريضتين وقال:

«النساء تجدنه جذاباً أنا أعرف هذا. ولكن ليس نوعك من النساء ياكاترينا فأنت لست من دنياه.»

«وهل تعني أني من دنياك؟ وهل هذا ماتقصد؟»

وكان في صوتها رنة عدم التأكيد عندما أدركت أن ماقاله كان صحيحاً ثم قال لها:

«بكل تأكيد ياجيلني.»

وسألته وهي تعرف أنها تقسو عليه ولكنها كانت تشعر بذلك في تلك اللحظة:

«حتى لو تأملت خطيبتك من النظرات التي كنت تصوبها إليّ؟ فأنت لست عادلاً في معاملتك لأثينا يانيكولاس. لست عادلاً على الاطلاق.»

ومرة أخرى بدت على وجه نيكولاس الوسيم أمارات الغضب وضغط تكراراً على ذراعها بقوة وهما يسيران على ذلك الشاطئ الجميل وقال لها:

«إنها من اختيار ستيفان، دعي ستيفان يتزوجها.»

اثار رده السريع القاسي الشكوك في ذهن كاترين، فلم تلتفت إلى المناظر الخلابة المحيطة بها، بل راحت تركل الرمال البيضاء بقدمها، وقالت بهدوء:

«ظننت انه سيتزوج أثينا أندرياس، هكذا أخبرتني ماريا وبعد كل شيء، إيلينا موجودة هنا.»

فرد عليها بالتضاب قائلاً:

«ولكن أياً منها لا تجرؤ على التفوه بكلمة واحدة في وجوده. فستيفان ينظم حياة غيره ولا يسمح لأحد بالتدخل في خططه الخاصة.»

لم تجد كاترين أي سبب منطقي لما شعرت به في تلك اللحظة، لكن قلبها بدأ يخفق بشدة، ونظرت فجأة إلى القمر الأصفر الكبير في السماء، وشعرت بالفرحة تغمرها، ثم قالت له:

«وهل يعني هذا أن ستيفان لن يتزوج الآنسة أندرياس؟»

فقال نيكولاس وهو يهز كتفيه والكآبة على وجهه:

«من يدري ماالذي يدور في خلد ستيفان. أحياناً أتمنى أن يتزوج حتى لا يجد الوقت الكافي للتدخل في حياة الغير وإحالتها إلى جحيم.»

وتذكرت كاترين ثانياً هيلين والمرارة التي تشعر بها نحو ستيفان. وكان واضحاً أنها لم تكن ترغب في الزواج من غريغوري الذي كان في نظر

كاترين أكثر الأشقاء طيبة ونبلاً بين الثلاثة، ثم سألت نيكولاس:

«هل تعتقد ان هيلين سعيدة؟ انا لا أجدها سعيدة دائماً.»

قالت ذلك بلهجة حذرة، فقد كانت كاترين غير متأكدة من ردّ فعل نيكولاس لاتخاذها حياة هيلين وغريغوري كمثل فنظر إليها نيكولاس بعينيه الداكنتين ولم يقل شيئاً. وتساءلت اذا تضايق فعلاً من هذه الاشارة؟ ثم وضع ذراعاً حول كتفيها وضمها هامساً:

«ألم تعرفي شيئاً عن هيلين؟»

ومرّة أخرى تذكرت كاترين ليلة وصولها إلى الجزيرة وتلميح ستيفان عن شيء بين والدها و هيلين عندما قدم هيلين. وسلوك هيلين بعد ذلك معها. وجازفت بقولها:

«أعتقد أن هناك شيئاً لدى هيلين يجعلها تبدو تعيسة، ولا أدري ماهو لكني اعتقدت أنه يتعلق بوالدي.»

وأخيراً باحت كاترين بما أرادت قوله، وفي وسع نيكولاس أن يخبرها بكل شيء الآن أو يقول لها إنها مخطئة وينتهي الشك الذي يساورها. وبدا على نيكولاس التفكير العميق برهة على نحو لم تعهده من قبل، ثم ظل صامتاً. وخافت كاترين أن تبدد ذلك الصمت إلى أن قال أخيراً بهدوء:

«لا أدري كيف علمت ولا أظن أن هيلين أخبرتك بشيء وانا متأكد أن ستيفان لم يبح لك كذلك بالسر.»

فقالت له بصوت هامس:

«لاحظت أشياء كثيرة.»

فابتسم وأسنانه البيضاء تضيء وجهه الأسمر الوسيم مهنئاً كاترين على فطنتها قائلاً:

«إذن فأنت على حق ياجميلتي، فقد كانت هيلين على علاقة بوالدك.»

ولم تكن تصدق أو تتوقع ردّ نيكولاس الذي لم يراع شعورها فنظرت إليه وسألته بعد لحظة:

«علاقة بينهما؟»

«هالك هذا الخبر ياكاترينا، لكنك لم تعرفي والدك جيداً»

اعترفت كاترين بذلك قائلة:

«أكاد لا أعرفه بالمرة، ولم أره إلا قليلاً.»

«ولكن لابد أنك تعلمين أنه كان يقضي معظم أوقاته في اليونان»

وأومأت كاترين قائلة:

«نعم أعلم ذلك اذ كان يحب البلد وأهله.»

ثم حكى نيكولاس لها هذه القصة:

«قابل والدك فريغوري في منزل أحد الأصدقاء، وفي إحدى الأمسيات دعاه فريغوري لتناول العشاء في الجزيرة، وكانت هيلين هناك باعتبارها خطيبة لفريغوري وقتئذ، ومن أول لحظة وقعت في حبه مما جعله يتيه بهذا الحب...»

وابتسم نيكولاس ابتسامة تدل على الأسف وهو يشير إلى نقائص والدها.

«كانت هيلين جميلة ولم تتجاوز الثانية والعشرين من عمرها بعد، ولكنها كانت جادة في حبها أكثر من والدك.»

فقالت كاترين بصوت خافت:

«كانت أصغر من والدي في ذلك الوقت بحوالي عشر سنوات.»

فأومأ نيكولاس وقال:

«لا بد أنه أحس بفخر لوقوع تلك الفتاة الجميلة الصغيرة في غرامه.»

وقالت كاترين بلهجة تنم عن الأسى:

«مسكينة هيلين.»

ووافق نيكولاس على كلامها واستطرد قائلاً:

«فعلاً... مسكينة هيلين، ولكن كان يجب عليها أن تعرف أنها الخاسرة، لأنها كانت مخطوبة لفريغوري وكان لايسمح لأحد بالتدخل لفك هذا الارتباط.»

وردت كاترين:

«لقد مشاريع ستيفان؛ الآن فهمت لماذا تتحدث عنها بمرارة شديدة.»

قال نيكولاس وقد بدا عليه الولاء لأخيه على غير ماتتوقع:

«ليست مشاريع ستيفان فقط بل كانت العادة أن يبدأ ليون بيندوبولوس بالخطوة الأولى ثم ينفذ ستيفان الباقي. أما هيلين وغريغوري فلم يعترضا على هذا الزواج في بادئ الأمر وإلا ما كان ستيفان يوافق عليه».

وتذكرت كاترين زوجة أبيها الشابة الجميلة الحزينة وقالت:

«ولكن ماريا؟ كيف تزوج والدي من ماريا؟»

فهز نيكولاس كتفيه وسرح قليلا كأنه يستعرض أيضاً ذكرياته مع شقيقته ثم قال ببساطة:

«أحبته ماريا وأعتقد أن جورج أحبها ولكن على طريقته الخاصة».

ولأول مرة في حياتها شعرت كاترين بالمرارة الحقيقية في قلبها لسلوك والدها ثم أردفت تقول:

«وطبعا آلت إليه أسهم شركة الملاحة أيضاً».

وهز نيكولاس رأسه موافقاً:

«من العرف أن تهدي العروس زوجها بيتاً كجزء من هدية العرس ولكن بما أن ماريا عاشت بعيداً عن وطنها أعطته الأسهم بدلاً من البيت».

«ياإلهي!»

وأغمضت كاترين عينيها المثقلتين بالدموع وبكت على مصير زوجة أبيها الحبيبة التي تركت وطنها وقالت:

«الوضع... الوضع ليس أفضل كثيراً من وضع العبيد. أليس كذلك؟»

ونظر إليها نيكولاس في فضول وراحت عيناه الداكنتان تتفرسان في ملامحها التي بدت صغيرة شاحبة في ضوء ذلك القمر الكبير، وكانت عيناها لاتزالان ممتلئتين بالدموع. ووضع نيكولاس يده برقة على خدها وقرّب وجهها منه وكانت ذراعه لاتزال تحيط بكتفيها وقال بصوت هامس:

«إنك تتأثرين كثيراً بمثل هذه الأمور ياجيليني. ماريا في أي حال تزوجت الرجل الذي أحبته رغم أنها لم تكن تراه كثيراً بعد الزواج... وكان زواجها بين

حب أكثر مما يمكن أن تفعله فتيات كثيرات».

«نيكولاس».

قالت كاترين ذلك وهي تتطلع إليه بعينيها الخضراوين اللتين بدا فيهما القلق واضحاً في ضوء القمر

«إنه... أقصد ستيفان لن يفعل أي شيء مماثل بالنسبة إليّ؟»

«أتقصدين يتدخل في زواجك؟»

وبدا نيكولاس كأنه كان يفكر ملياً في الأمر ثم قربها منه وضمها بين ذراعيه، وأخذت أنفاسه الدافئة تلفحها ثم قال بصوت هامس:

«إذا حاول ذلك ياجيليني فسوف نهرب معاً ونتحداه... إنني أقسم لك على ذلك!»

nlo
www.liilas.com
nlo
liilas.com

٧ ـ لم يحن الوقت بعد

على الرغم من شكوكها نحو ستيفان وحديثها مع نيكولاس عنه الليلة الفائتة شعرت كاترين بفرحة وهي تستعد لزيارة نيقوسيا.

نظر إليها الولدان سعيدين عندما أخبرتهما أنها ستطير إلى قبرص وطلبا منها مرافقتها، وكانت تتمنى أن تلبي طلبهما فوراً لو أنها ذاهبة مع أي شخص آخر غير ستيفان. أما معه فلم يكن في وسعها أن تلبي طلبهما. وبدأ حماسها يخف فقالت وهي تنظر إلى عيونهما الواسعة السوداء، القلقة:

«إنها مجرد رحلة عمل لابد أن أوقع أوراقاً لصالح خالكما ثم أعود».

فقال لها أليكس وأخوه يشجعه بإيماءة من رأسه:

«نحن نحب الطيران. ألا تستطيعين أن تطلبي من الخال ستيفان أن يسمح لنا بالذهاب أيضاً ياكاترين؟»

ترددت كاترين وتصارعت فيها عاطفة الولاء، وشعرت بالقلق، لأنها كانت متطلعة حقاً لهذه الرحلة مع ستيفان مع أنها رحلة عمل. ووجدت نفسها غير مستعدة لأن يشاركها أحد، حتى الطفلان، في صحبة ستيفان. وفي الوقت ذاته

شعرت بالندم لترك الطفلين بينما تذهب هي للترويح عن نفسها لذلك قالت لهما بسرعة وهي تعدهما كي تريح ضميرها لأنها كانت متأكدة أنه سوف يرفض اصطحابهما:

«سأخبر خالكما بتلك الرغبة.»

وارتدت كاترين ملابسها بعناية وهي تدرك أنها رحلة عمل إلى حدّ ما، لكنها تذكرت قول ستيفان أن ترتدي ثوباً خفيفاً. وكان الثوب الذي اختارته قصيراً لكنه محتشم يلائم الجانب العملي من الرحلة. وكان من التيل البني المنسجم مع بشرتها الشقراء، أضاء لون بشرتها ذهبياً. وكان الحذاء متلائماً مع الثوب أيضاً ومناسباً للمدينة أو الريف. وبعد ارتدائها لملابسها ألقت على نفسها نظرة راضية في المرآة وذهبت لزيارة الطفلين ثانية.

كانت كاسيا معهما فأخبرتها كاترين أنها سوف تطلب من ستيفان مرافقة الطفلين. فنظرت إليها كاسيا بدهشة وقالت لها بانكليزيتها المتعثرة:

«لا أظن أن السيد ميدوبوليس يوافق»

تنهدت كاترين قائلة:

«إنك على حق ياكاسيا ولكن سأحاول ولا ضرر في ذلك»

أخذت كاترين الطفلين ونزلت معهما وكانا يتكلمان ويضحكان وأصواتهما ترن في البهو، وعند وصولهم إلى نهاية السلم خرج ستيفان ووقف ينظر إلى الثلاثة ثم عبر البهو وصوّب نظرة طويلة إلى كاترين.

وكان يرتدي ملابس عادية لاتمتّ الى العمل بصلة، وشعرت كاترين أنه لاينوي قضاء يومه في المكتب ويتركها وحدها، الأمر الذي جعلها تفكر في وقت سعيد معه. انه يرتدي بنطلوناً عاجي اللون وسترة متناسقة مع جسمه النحيل وقميصاً بنياً، بلا ربطة عنق. كان زيه يوحي بالتحرر من الرسميات، لكن قسمات وجهه الصارمة التي تشبه الصقر تناقضت مع هذا الشعور ولذلك تبخر حماس كاترين وتطلّعها إلى الرحلة. ثم قال لها بدون مقدمات:

«ما الذي تتوقعين مني فعله؟»

ونظر إليها طويلاً. فنظرت كاترين إليه لحظة قبل أن تشيح بوجهها وتجازف قائلة:

«هل يمكننا اصطحاب أليكس وبول؟»

كانت تعلم أنه سوف يرفض الطلب حتى قبل أن تعرضه. فنظر ستيفان إلى الولدين وهز رأسه وقال موجهاً كلامه اليهما:

«آسف، فلن يمكننا اصطحابكما هذه المرة. ربما أمكننا ذلك المرة المقبلة.»

وكانت رفقته مع الطفلين تدهشها، كما عرفت انهما صارا مغرمين جداً بخالهما وخصوصاً بول، الذي لم يحاول إخفاء حبه لخاله الجديد، وقد انسجم مع بيئته الجديدة ومرح لها كثيراً. وكان بول بالطبع هو الذي تأثر أكثر من أخيه لعدم الذهاب. وعندما نظر إلى ستيفان بعينيه الواسعتين اللتين تفيضان عتاباً وجدت كاترين الشبه كبيراً بينه وبين نيكولاس.

«أريد الذهاب أيضاً أنا وأليكس.»

قال ستيفان وصوته ينم عن الصرامة. وفي الوقت نفسه كلمه بهدوء:

«لا يمكنك الذهاب، كما قلت لك الآن.»

لكن بول نظر إليه ومازال الأمل يداعبه، لكنه سرعان ما اكتشف في ستيفان خصماً عنيداً لايستهان به. فتحول الى كاترين وقال بصوته الرقيق متوسلاً:

«كاترين. ألا يمكننا الذهاب؟»

ولم تشعر كاترين بالندم في حياتها مثل ذلك اليوم، كانت مستعدة أن تزكي طلبها إلى شخص آخر غير ستيفان الذي راح يحدق فيها بنظرات غاضبة وينتظر ردها على أخويها. ولم يكن أمامها إلا أن تركع بجانب بول وتحيطه بذراعيها ثم قالت له:

«آسفة ياحبيبي فذهابكما هذه المرة مستحيل.»

مط بول شفتيه وبرقت عيناه وسألها بصوت يرتعش على نحو يثير الأسى:

«لكن لماذا لايمكننا الذهاب؟»

حاولت كاترين أن ترد عليه ولكنها نظرت إلى ستيفان وقد أعيتها الحيلة وتركته يقول:

«لأني قلت إن هذا مستحيل.»

فنظرت إلى ستيفان ورأت في عينيه نفاد الصبر ثم هز رأسه بسرعة كأنه ندم على لهجته العنيفة وانحنى عليهما وقال وهو يضع يداً على كل صبي:

«عندما أذهب إلى نيقوسيا سأشرع في شراء مهرين لكما.»

كان صوته أرق بكثير ورأت كاترين وجهه الأسمر وقد لان وكسته ابتسامة رقيقة. واستطرد قائلاً:

«هل يروق ذلك لكما؟»

فرد بول قائلا وقد اتسعت عيناه دهشة وفرحاً:

«مهران حقيقيان لي و لأليكس؟»

«نعم جوادان حقيقيان لك و لألكساندر.»

ولاحظت كاترين أنه يفضل مخاطبة أليكس باسمه كاملا ألكساندر ثم نظر ستيفان إلى أخيه الصامت. صحيح أن أليكس يكبر بول بسنة ونصف لكنه يترك أخاه يتكلم بدلاً منه. ونظر الطفل إلى كاترين مرة أخرى مستسلما للبقاء في الجزيرة بعدما عرف الغرض من الرحلة وقال:

«وهل كاترين هي التي ستختار الجوادين؟»

فضحك ستيفان وهز رأسه ورفع بول بين ذراعيه حتى أصبح في مستوى نظره بينما كانت أسنانه تلمع في وجهه الأسمر. وقال:

«اختيار الجياد من صميم عمل الرجل ونحن لانترك أعمالنا للنساء ياصغيري.»

وشعرت كاترين بالدم يتدفق إلى وجهها، وغالبت بصعوبة الرغبة في الرد على هذا الافتراء الذي اعتبرته مجرد غطرسة رجال. ولكن سعادة بول منعتها

فقد صاح قائلاً بينما أعاده ستيفان إلى الوقوف مرة أخرى:

«جيد! سيكون عندنا جياد ياأليكس!»

وفكرت كاترين أن أليكس أكثر تحفظاً في حماسه وأرق في معاملاته فلم يكن لديه هذا الحماس العارم لكل شيء جديد مثل بول، الذي يشابه خاليه نيكولاس وستيفان، بينما ورث أليكس رقة أمه ماريا. وكان سكوته قد أدهش ستيفان فنظر إليه بتقطيبة صغيرة وقال:

«ألست متحمساً لامتلاك مهر يا ألكساندر؟»

ورمق أليكس كاترين بنظرة أولا قبل أن يومىء برأسه ويقول:

«نعم ياخالي ستيفان»

وظل ستيفان صامتاً لحظة ثم هز رأسه وبدا عليه نفاد الصبر مرّة أخرى وقال:

«ولكنك تفتقر إلى حماس أخيك وشجاعته. أليس كذلك؟»

وشعرت كاترين بضرورة الاعتراض على رأيه هذا فقالت:

«لا،لا، ياستيفان»

ثم نظرت كاترين إلى وجه أليكس الجاد وودت لو ركعت بجانبه لتواسيه وتعوّضه عن هذا الحكم الصارم، ولكن راعها أنه قابل نظرة ستيفان الحالكة بتحدّ وثبات وردّ في صوت حاسم ثابت:

«سأركب مهري أيضاً ياخالي ستيفان»

وامتدت يد ستيفان الكبيرة لتربت على رأس الصبي لحظة وتمتم ببعض كلمات باليونانية وهو يبتسم له. وتساءلت كاترين عن مدى التفاهم الذي سوف يقوم بين ستيفان وأليكس ثم التفت إلى كاترين وتأملها بعينيه الداكنتين وقال:

«هيا، إذا كنت مستعدة ياكاترين»

كانت كاترين تود أن تتحدث مع ستيفان في كثير من الأمور وهيا

يعبران هذا البحر الأزرق بالطائرة. ولكن شغلتها عن ذلك المناظر الخلابة المحيطة بها، فلم تتمكن من عتابه على قسوته على أليكس أو تهكمه على بنات جنسها أمام بول. وبدلا من ذلك نظرت إلى تعرّج الشاطىء، والمناظر التي غمرتها الشمس في قبرص وعبّرت عن سعادتها بكل مانرى.

«سوف أجعلك من سكان الجزر اليونانية»

قال لها ذلك وهو يبتسم ويستعد للنزول بالطائرة في نيقوسيا وكانت مهارته في الهبوط بالطائرة تضاف إلى باقي مهاراته. فهو دائماً يتفوّق في كل عمل يقوم به مما جعلها تحس بالشعور بمركّب النقص ولاحظت أنه معروف في المطار. كذلك ملأ كاترين الزهو عندما لاحظت نظرات بعض النساء تتركز على قامته المرنة وقسماته المتغطرسة السمراء التي تشبه الصقر، وقد زادتها الحلة البيضاء سمرة، فرجل مثل ستيفان لاتقاومه النساء ولكنه ربما قابل إعجابهن بشيء من البرود والصدّ.

وشعرت كاترين بالحرية عندما هبطت في مدينة نيقوسيا برغم أنها لم تفعل شيئاً سوى الانتقال من جزيرة إلى أخرى وكان سجانها، إذا صح هذا التعبير، مازال معها ولكن جزيرة قبرص كانت أكبر كثيراً من داكرليس ويميّزها أن ستيفان ميدوبوليس لايحكمها.

ووجدت كاترين في الجزيرة أشجار اللوز والتفاح محملة بالفاكهة الناضجة ورائحة الجوّ معبأة بأريج الزهور، ورائحة الطيب هي أول انطباعات كاترين وأعمقها في نيقوسيا. وطافت السيارة في شوارع، بعضها واسع وبعضها ضيق، ومنها ما يغمرها الشمس ومنها الظليلة. أما المنازل البيضاء فلها شرفات حديدية تطلّ على الشوارع المكتظة بالحركة، ونوافذ فتحت مصاريعها تستقبل الهواء والشمس. وكان بعض الناس يجلسون على مقاعد مستقيمة على الأرصفة وهم يطالعون الصحف أو يتحدثون وكان هذا كله جديداً يختلف عما اعتادته ويثير اعجابها. وحاولت ألا يفوتها شيء وهي جالسة في السيارة بجانب ستيفان في

طريقها إلى مكتبه. وكان تعجبها من كل ما تراه قد راق لستيفان فنظر إليها وهو يبتسم لها ابتسامة جعلت نبض كاترين يسرع لبضع دقائق. كان مكتب ستيفان نفسه أقل فخامة مما توقعت لكنه كان يبدو مريحاً ورطباً إذا قيس بحرارة الجو خارجه وساعدت المروحة الكهربائية على تلطيف جوّه. كما أن النوافذ التي تطل على الشارع كانت مفتوحة كلها.

وكان أثاث المكتب قديماً وقيّماً وجميلاً كأثاث منزل جزيرة داكوليس. جلس ستيفان خلف مكتبه الذي يماثل تماماً مكتبه في الجزيرة. وكانت كاترين قد قابلت عند دخولها موظفاً نظر إليها بإعجاب وتحفظ وحيّاها بابتسامة أضاءت وجهه الوسيم الأسمر.

«سوف نوقع الأوراق أولاً».

قال ذلك وهما يجلسان. ثم ضغط ستيفان على الجرس فجاء الكاتب الشاب الذي كانت كاترين قد رأته وهي داخلة إلى المكتب. وأعطاه ستيفان بعض التعليمات السريعة باللغة اليونانية ثم ظهر بعد عدة ثوان يتأبط حزمة أوراق وضعها بعناية أمام ستيفان. ويبدو أن كل شيء كان معداً لهذه الزيارة. ولم تدهش كاترين من ذلك فستيفان لا يتصرف أبداً بتسرّع وخصوصاً فيما يتعلق بالمعاملات الرسمية. وشعرت كاترين أن أسهمها سوف تكون في أيد أمينة بإشراف شخص له ضمير حيّ مثل ستيفان.

وبقي الكاتب معهما حسب تعليمات ستيفان، الذي قام من وراء مكتبه وأشار إلى كاترين أن تحلّ محله وتجلس على مقعده. وبدت الأوراق التي أمامها كالألغاز لا تفهمها أبداً اذ كتبت باللغة اليونانية. ولم يفت ستيفان نظرتها السريعة المتسائلة. فقال لها وقد بدت في صوته لمحة نفاد الصبر المعتادة:

«أعرف أنك لا تقرأين اليونانية ولكن ضيق الوقت حال دون ترجمة الأوراق إلى الانكليزية. وسوف نعمل على ترجمة المستندات في أقرب وقت ممكن حتى يمكنك استلامها».

«شكراً لك».

كان الامتنان يبدو عليها وهي تشكره لكنها كانت سعيدة لأنه أدرك ما دار بخلدها. فهي لا تريد أن يظنها ساذجة تماماً وجاهلة في هذه الأمور.

ومرة أخرى تمتم ستيفان بعض كلمات إلى الموظف الشاب الذي خرج وعاد بصحبة كاتب الآلة الطابعة الذي كان في الغرفة الخارجية، ثم وقّعت كاترين بعد تردد لا يذكر على الورق الذي أشار اليه ستيفان بالتوقيع وبعده وقّع كل من الموظف والكاتب.

هكذا تم التوقيع وأصبح كل شيء له صيغة رسمية شرعية. وارتاحت كاترين لذلك وشكر ستيفان موظفيه باليونانية وصرفهما، ثم التفت الى كاترين وهو يطوي الأوراق بعناية وقال بهدوء:

«أنا سعيد لأنك تصرفت بحكمة يا كاترين».

فهزت كتفيها وقالت له:

«لا يضايقني أن تقوم أنت بالجانب الرسمي من أعمالي كما أوضحت لي السيدة ميدوبوليس. إنني لا أتكلم اليونانية ولن أتمكن من حضور الجلسات، وبهذه الطريقة يحصل كل واحد منا على غرضه».

ووقف برهة طويلة لا يتكلم، ثم حمل الأوراق وأودعها خزانة قديمة أمينة والتفت إليها. شعرت كاترين بالمخاوف تجتاحها، ثم جلس على طرف المكتب وترك قدماً تتأرجح بلا اهتمام ومال نحوها وقال:

«هل تعرفين على ماذا وقّعت يا كاترين؟»

فنظرت إليه مرتابة وقالت وهي تهز شعرها الأحمر بهدوء، وتحاول أن تبتعد عن نفسها المخاوف والريبة وقالت بصوت مبحوح:

«قل لي كل شيء».

«وقّعت تنازلك عن الأسهم لصالحي».

فنظرت إليه لحظة وعيناها الخضراوان تقدحان شرراً لسذاجتها من ناحية

وخداعه من ناحية أخرى، وقالت له في نبرة تنمّ على الاتهام:
«غررت بي! أنت تعرف جيداً أني لا أعرف اليونانية ولذلك تعمدت أن تكتب كل هذه الأوراق بلغة أجهلها حتى لا أعرف نواياك».

وكانت تحاول أن تكبح الرغبة الجامحة في ضربه ثم هبّت واقفة.

«لم أغشك بل ادرك الآن أنك كنت تجهلين ان توقيعك سيكون على تنازلك عن الأسهم».

وكانت نبراته هادئة باردة زادت من اشتعال غضبها. وقالت في صوت حاد غاضب:

«ظننت أني أوقع بتسليم الأسهم إليك لتديرها لحسابي، وأعتقد أنك كنت على علم تام بما تفعل».

«وهل تعتقدين أني غررت بك عن عمد؟»

وظهرت على وجهه نظرة باردة خطرة فملأ الخوف قلب كاترين، ووقف ستيفان قريباً جداً منها حتى خافت أن يمد يده ويضربها عقاباً على اتهامها له بالخداع والتغرير، وظلت تنظر إلى هاتين اليدين الداكنتين القويتين بخوف وإعجاب. ثم قالت له بصوت حاد:

«كيف تحاول أن توهمني بأنك لم تكن على علم تام؟ أخبرت السيدة ميدوبوليس بفكرتي ووافقت أن تكون أنت وكيلاً عني».

«وكيل! وفي شركتي! والدتي تعرفني جيداً ولن تتخيّل أني أقبل أن أكون في هذا المركز يا كاترين فأنت لم تفهميها جيداً».

وبان في عينيه الغضب لأنها تنتظر منه أن يقوم بدور لا يتناسب ومركزه، فتملكها الحنق واحمر وجهها وبرقت عيناها وزاد ذلك من خضرة لونهما وقالت:

«بل لم أسيء فهمها مطلقاً. السيدة ميدوبوليس قالت: إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي أوافق عليها...»

فقاطعها قائلاً وقد نفد صبره:

«لا أريد أن أسمع تقريراً عما دار بينك وبين والدتي. من الواضح أنكما اختلفتما على المعنى فأخطأ كل منكما فهم الآخر. وهكذا أقدمت على فعل شيء ضد رغبتك».

«والآن أريد استرداد هذه الأوراق».

فقاطعها بشدة هذه المرّة وقد تقلصت شفتاه لغرابة طلبها وقال:

«تريدين! إنها موقعة الآن ولا بد أن تخضعي للأمر الواقع يا كاترين عن طيب خاطر».

«ليس لك الحق. لقد خدعتني!»

فرد عليها ببرود قائلاً:

«إن لي كل الحق. ولم أخدعك».

ومد يده وضغط على رسغها وكأنه رباط من حديد وعيناه القريبتان منها تقدحان شرراً.

«ولن أقبل منك أي اتهام ثانية ـ هل تسمعين؟»

«دعني أذهب».

وحاولت نزع يدها من يده ولكنه أطبق عليها بأصابعه الفولاذية فلم تتمكن من ذلك. بل شعرت بألم في ذراعها من شدة ضغط يده عليها ثم قال بصوت صارم بارد ولكنه مستسلم خاضع وبعد لحظة أدركت السبب:

«اسكتي! هل تظنين أني أريد موظفي مكتبي أن يعرفوا أنك تتصرفين كطفل مدلل لأنك فقدت شيئاً لم يكن لك الحق في امتلاكه أساساً؟»

وردت قائلة:

«وهل أنت متأكد أن السبب ليس خوفك أن يعرفوا أنك خدعتني وأخذت مني شيئاً تركه والدي لي في وصيته؟ كنت تعرف تماماً ما تفعله يا ستيفان ولا تحاول أن توهمني بأنك لم تكن تعلم».

وقال لها:

«وكنت أنا أيضاً متأكداً من أنك تعرفين ما تفعلين».

وكان لا بد لهذا الغضب أن يهدأ.

بعد برهة شعرت أن قبضته على يدها أخذت تخف تدريجياً ونظراته التي كانت تتفحصها يخف غضبها قليلاً، وراح يقول لها بهدوء وبنغمة كادت تصرفها بالرغم من اقتناعها بخطئه وإدانتها له:

«لم أخدعك يا كاترين».

«ولكني لا أصدق ذلك».

وبان في أفكارها هذه أن إدانتها قد خفت. الأمر الذي فطن له ستيفان فأضاف برقة أثارت دهشتها:

«ظننت أنك وافقت على التنازل لي عن الأسهم ولذلك كتبت الأوراق بهذا المعنى. وكان عليّ أن أستشيرك في الأمر بعد ذلك بنفسي ولكني خفت أن تغيري رأيك».

وكانت لمسة يده على يدها ذات تأثير أكيد على حواسها وشعرت بحنانها وأخذ نبضها يسرع عندما بدأ يضغط برقة ونظرت إليه لحظة قبل أن تقول:

«وهل ظننت حقاً أني قد أغيّر من رأيي بالنسبة الى التنازل لك عن هذه الأسهم»

ورجعت كاترين بذاكرتها إلى الوراء يوم وافقت السيدة ميدوبوليس على قرارها وقالت إنه خطوة على الطريق السوّي. وتذكرت كم من السهل اتخاذ عدم إتقانها للغة الانكليزية ذريعة لهذا الالتباس.

ورد بهدوء:

«بلا شك، ظننت أنك قد غيّرت رأيك وإلا ما جعلتك توقعين على تلك الأوراق. فأنت تظلمينني يا كاترين».

«آسفة».

ونظرت إلى فتحة قميصه التي تكشف عن عنقه الأسمر القوي ورأت عروقها

تنبض وشعرت بإبهامه يتحسس رسغها فتأثرت وراحت ترتجف بشدة حتى أنها ظنت أنه لاحظ ارتجافها.

وبدت أسنانه البيضاء في ابتسامة رائعة ورفع حاجبه وقال لها بهدوء:

«هل تذهب إلى الغداء، ونترك خلافاتنا جانباً؟»

« ستيفان ».

وكانت تود أن تطلب منه أن يعد لها أوراقاً أخرى جديدة، ولكن قبل أن تكمل كلامها انحنى نحوها وعانقها برقة نسيت بعدها ما كانت تود قوله.

وكان المطعم الذي قصداه صغيراً أنيقاً ارتاحت كاترين إلى جوه الذي يبعث الألفة. وكانت عيون روّاده تنظر إليها وتتفحصها وهي في صحبته. ومن الواضح أن ستيفان كان معروفاً للجميع هناك. ولكن القلة منهم جاءت للتحدث معه. لا شك أن عائلة ميدوبوليس كانت معروفة في كل الجزيرة يحييّ أفرادها بكل احترام.

واختار ستيفان مائدة خلف سور حديدي قصير ترتفع درجتي سلم عن باقي المطعم، وكان يريد أن يكون بعيداً عن باقي الرواد وهي عادة يتبعها كلما تناول طعامه في الخارج. كانت جدران المطعم بيضاء كغيرها من أبنية تلك الجزيرة المشمسة. وكانت نوافذه الصغيرة تفتح على مناظر أشجار التين والتفاح. ولاحت المنازل على بعد تليها التلال التي تكسوها الأشجار.

وتركت كاترين اختيار طعامها إلى ستيفان مما ارتاح له. فقد كان يتضايق عندما تتولى اختيار الأصناف لنفسها، وعندما تركهما الخادم لاحضار الطعام سألت كاترين ستيفان عن الأصناف التي طلبها فرد عليها يقول:

« مازة هل تعرفين ما هي؟»

فهزت رأسها بالنفي وأثارت ابتسامته شكوكها فسألته:

«هل طلبت طعاماً لا يروق لي يا ستيفان؟»

فرفع حاجبه وهو يصب الشراب الذي أحضره لها صاحب المطعم توّاً ثم ابتسم

وقال:

«الاحظ دائماً في البيت انك تستسيغين كل الأطعمة التي تقدم لك».

والواقع أن كلمة في البيت أعطتها شعوراً بالأمان، لكنها شعرت بالاحمرار يكسو وجهها. فهو يراقبها و يلاحظ شهيتها المفتوحة وإقبالها على الطعام. فقالت:

«يجب ألا آكل بهذا النهم، ولكن الأصناف التي تقدم عندكم لذيذة الطعم وكثيرة، فلا أستطيع أن أقاومها لأني أحب تجربة كل صنف منها».

تأملها ستيفان لحظات وقال لها وهو يبتسم تلك الابتسامة الهادئة التي تلهب دماءها دائماً:

«لا تخشي الطعام فأنت لا تزالين رشيقة. ولا أرى أي تغيير في قوامك».

وخجلت كاترين من نظراته التي كانت تتفحصها، لكنها قالت وهي تكرر بديهيا كعادتها دائماً كلما تأثرت حواسها بقربه. ثم ضحكت بارتباك:

«إن مسألة الطعام لم تشكّل لي قلقاً أبداً وذلك لحسن حظي».

تأملها بجدية وعيناه تراقبانها وهو يحتسي الشراب:

«نعم إنك محظوظة جداً، وإنك فتاة جميلة جداً يا كاترين».

وظل يحدق فيها بعينيه السوداوين.

«شكراً لك».

لم تجد ما تقوله أكثر من ذلك. ولم تضحك بخجل مثل التلميذة الصغيرة أو تتجاهل المجاملة كأنها إطراء زائد فكلاهما لا يرضى ستيفان عنهما. ولكنه يفهم ويقدر قبولها الهادىء لمجاملته. وعاد يقول:

«أنت جميلة لدرجة الخطورة. أعتقد ذلك».

نظرت إليه متسائلة عما يقصده؟ وقالت:

« ستيفان، إنني...»

ولكنه رفع يده وأسكتها بإشارة منها وقال وقد بدا جاداً:

« نيكولاس يجدك جذابة جداً».

وعجبت كاترين كيف ينتقل كلامهما من موضوع خفيف مثل شهيتها بينهما في الطعام إلى موضوع أكثر جدية تختلف فيه نبرات ستيفان في الكلام. وتلاحقت دقات قلبها. إذاً سوف يأمرها ستيفان بمغادرة الجزيرة لأنه يجد وجودها عاملاً لهدم مشروع زواج نيكولاس. ولكنها الآن لن تتقبل أمره هذا بالبساطة التي كان يمكن أن تتقبله بها منذ عدة أسابيع. فردت عليه قائلة:

«أحاول عدم تشجيعه دائماً وخصوصاً عندما تكون أثينا بيدوبولوس هناك. ولا أدري ما الذي أستطيع فعله يا ستيفان».

لم يرد عليها فوراً بل راح يعبث بالكأس في يده وقال لها بهدوء:

«ربما أستطيع أنا أن أفعل شيئاً».

وطرفت كاترين بعينيها لحظة ونظرت إليه بحذر وفضول وتساءلت... ترى لماذا يحاول تفادي النظر إليها على غير عادته؟ وأخيراً قالت:

«إنني لا أفهمك».

فابتسم ابتسامة هادئة انعكست في عينيه السوداوين عندما نظر إليها أخيراً وقال برقة:

«ستفهمين قريباً يا صغيرتي. والآن تمتعي بالمازة».

وكانت كاترين تود أن يغير الموضوع كله فقالت له:

«ما هي المازة؟»

«إنها طعام مكون من أربع أصناف ستعجبك كثيراً».

وضحك فاضاء الضحك وجهه الأسمر عندما صفّ الخادم أطباق الطعام أمامها وجدت كاترين المأكل يحتوي على أصناف من الجبن وورق العنب المحشو واللحوم وخصوصاً لحم الضأن المتبل بالليمون والثوم و السوفلاكي وهو الكباب حسب الطريقة اليونانية واستمتعت كاترين بالطعام فلم تستطع أن تتناول المزيد من الحلوى اللذيذة بل ختمت بالفاكهة الطازجة. وتخلل المأدبة احتساء نوع من الشراب الأبيض المصنوع محلياً يسمى افروديت وخيّل اليها

انه لم يحدث في حياتها أن التهمت مثل هذه الكمية الضخمة من الطعام.

ثم قالت كاترين:

«أخجل من نفسي...»

وضحكت برقة عندما أخذ يهز رأسه:

«ولماذا؟ ألم يرق لك الطعام؟»

فلمست كاترين رأسها وقالت:

«كان رائعاً وقد أفرطت قليلاً في الشراب فقد راق لي كباقي الطعام. كل شيء كان رائعاً.»

«ولكنك لا تحبين القهوة؟»

ولم يكن في الواقع سؤالاً بقدر ما كان ذكر حقيقة، وتعجبت كاترين كيف لاحظ ستيفان أنها لا تستسيغ القهوة التركية وترفضها عند تقديمها في منزله

فقالت له وهي تبتسم:

«أحب القهوة أحياناً ولكن ليس على الطريقة اليونانية».

«لاحظت ذلك».

ونظرت إليه كاترين من بين أهدابها الكثيفة ووسوس لها شيطانها ثانية، كما فعل من قبل، أن تداعبه حتى ولو فقدت في سبيل هذه المداعبة هدنتها الراهنة فقالت وهي تبتسم:

«وهل تلاحظ كل شيء؟»

فلم يقل شيئاً وظل صامتاً برهة طويلة ثم رفع كأسه إلى شفتيه وراح يتفحصها وهو ينظر إليها بعينين سوداوين عميقتين لا قاع لها... ووضع كأسه على المائدة وقال بهدوء:

«ألاحظ معظم الاشياء، فلك موهبة بجذب النظر إليك يا كاترين. وجلست على مائدتي مدة تقرب من الشهر الآن فكيف يفوتني ملاحظة ما تحبين وما تكرهين؟»

«صحيح».

وشعرت بقلبها يخفق بشدة. وتمنت لو أنها لم تكن متهورة هكذا. وخيّل إليها أن هناك شيئاً يدور في خلده وهو متردد في التصريح به. وتساءلت ما إذا كان هذا الشيء يتعلق بها و بنيكولاس، وقد سبق أن حاول فتح ذلك الموضوع بالذات ولكنه أغفله عندما بدأ طعامها... ولم تكن ترغب في إثارة الموضوع مرة أخرى.

فقالت وهي تأخذ كأسها عن المائدة:

«أين نذهب الآن؟»

وهز ستيفان رأسه وقال:

«أقترح الذهاب إلى الشاطىء حيث الجو منعش. ولكن نمرّ أولاً بصديق لي في الجبل لننتهي مسألة حصاني بول و الكساندر. الجو هناك سيكون ألطف كثيراً من هنا».

ومالت كاترين برأسها وبرقت عيناها الخضراوان بابتسامة حلوة وشعرت بأنها مستعدة لتذهب معه إلى أي مكان. ولم يكن هذا الشعور نتيجة إفراطها بعض الشيء في الشراب.

وقالت لستيفان:

«رغبتك أمره».

وابتسم لها ستيفان ومرة أخرى تألقت عيناه السوداوان العميقتان اللتان استقرتا على فمها وقال هامساً:

«لم يحن الوقت بعد يا حبيبتي... لم يحن الوقت بعده».

٨ ـ العنيد المسيطر

وعندما تسلقت السيارة الجبل خيّل لكاترين أنها دخلت إلى دنيا ثانية راقت لها كثيراً. فالشمس الساطعة الحارة والجبال الصخرية المكسوة بالأشجار والمناظر الساحرة حرّكت أحاسيسها، وجعلتها تشعر بسعادة غامرة.

وكان جزء من الطريق محاطاً بسور من الحجارة البيضاء المائلة للصفرة وهي حجارة الجبل نفسه تكسوها النباتات الخضراء المورقة هنا وهناك. والأرض حجرية جافة أثارت سحباً من الغبار الأبيض كلما لفت السيارة في المنحنيات على حين غرة. وكان الجو يزداد برودة كلما تسلقا الجبل، فأغمضت كاترين عينيها تتمتع بالنسيم المنعش يخفف الحرارة عن جبهتها. وصدق ستيفان عندما قال إنه سوف يجد الجبل أكثر برودة من المدينة.

وكانت الفيللا التي يقصدانها واقعة على جانب من التل، تعلوها الصخور الملفوحة بالشمس وتحيطه أشجار البرتقال والليمون وأشجار السرو بألوان الخضرة المتباينة.

أما بناء الفيللا نفسها فأبيض اللون على مستويات متدرجة، سقفها مسطح ونوافذها مفتوحة كلها للهواء والشمس. وبدت جميلة، مع مسحة خيالية في

الأشعة الساطعة البيضاء.

ومن العجب أن يكون صاحبها انكليزيا يدعى اليك ماين. دهشت كاترين عندما حيّا ستيفان تحية تدل على أنهما مرتبطان بصداقة قديمة متينة. ونظر ماين إلى كاترين نظرة إعجاب وتعجب عندما قدمها ستيفان له. فقال:

«مس غرانجر؟ هل لك صلة قرابة بجورج غرانجر» وردت كاترين؟

«إنه والدي»

ونظرت إلى ستيفان وهي تقول ذلك رغم أنها تعرف سبباً لذلك فرد اليك يقول:

«قابلته مرتين عندما كان بصحبة...»

وبان على وجهه الودود الباش شيء من الحرج فالتفت إلى ستيفان وقال «آسف أيها الصديق أنني...»

فرد عليه ستيفان يغيّر الحديث بلباقة ويقول بهدوء:

«أتيت هنا لأري المهربين اللذين كلمتك عنهما.»

لا شك أن التي كان بصحبة والدها في المناسبات التي ذكرها أليك ماين هي هيلين ميدوبوليس.وربما كان ستيفان يعتقد أن لا علم لكاترين بهذه القصة مطلقاً.وتساءلت هل سيخبرها بها بعد مغادرة الفيللا؟ وماذا سيقول لو عرف أن نيكولاس أطلعها على هذه العلاقة من قبل؟

قال ماين وهو يسلك الطريق خلف الفيللا وينظر إلى كاترين تسير بينه وبين ستيفان:

«نعم بكل تأكيد»

ثم قال موجها سؤاله إلى كاترين:

«هل ستطول إقامتك في اليونان يا آنسة غرانجر؟»

وجدت كاترين أن هذا السؤال يصعب الرد عليه فقالت وهي تنظر إلى ستيفان تلقائياً قبل أن تجيب:

«لست متأكدة تماما من ذلك. لست متأكدة في الواقع.»

ثم حاولت أن تتغلب على ترددها وتفسر معنى كلامها لولا تدخل ستيفان الذي قال بهدوء:

«كاترين مقيمة هنا مع أخوها بعدما أصبحت أنا وصياً عليها منذ وفاة والديها.»

ودهش الرجل لذلك... وشعرت كاترين بقلبها يسرع عندما قبض ستيفان بشدة على ذراعها وقربها منه، كأنها أصبحت ملكاً له. وشعرت من كلامه أنها هي الأخرى أصبحت تحت وصيته، وتساءلت ترى هل أدرك أن أسلوبه في الكلام قد أوحى بذلك. فردت بحسم قائلة:

«ولكنك لست وصياً عليّ أنا...»

وقبضت أصابعه على ذراعها بشدة وشعرت بالألم وهو يضغط عليها وكأنه يعاقبها على تصحيحها كلامه ثم قال:

«لم أجد عبارة أستعملها أحسن مما قلت يا صغيرتي. ما هي الكلمات الأخرى التي أستطيع أن أستعملها؟»

وبرقت عيناه وهو يتحداها وتناسى وجود أليك ماين الذي راح ينظر إليها بدهشة بالغة. وبدا كأن ستيفان أراد أن يوهم صديقه بأن له سلطة على كاترين الأمر الذي جعل كاترين تثور. وفكرت... تلك الأصابع القوية التي تقبض على ذراعها... ومخاطبته لها بقوله يا صغيرتي... كل ذلك أثار روح الاستقلال فيها بطريقة آلية وقالت له:

«يمكنك القول بأني ضيفة.»

ونظرت إليه بعينيها الخضراوين كأنها تتحداه أن ينفي ذلك ثم هز ستيفان كتفيه العريضين وقال بهدوء:

«استعملي أي عبارة يا كاترين ولكنها لن تغير من الموقف شيئاً.»

في بلد يكثر فيه وجود البغال والحمير أسعد كاترين وجود الجياد في الحظيرة وراء الفيلا. وراق منظر الجياد الصغيرة لكاترين كثيراً وجعلها تصيح فرحاً

وتنسى خلافاتها مع ستيفان. ذلك أن منظر الجياد ذكرها بوطنها فشعرت بحنين بالغ وسمعت أليك يقول وهو يشعر بأحاسيسها أكثر من ستيفان نفسه:

«العائلات الانكليزية تطلب هنا الجياد لأولادها. ويدهشني أن الجياد تتأقلم هنا بسرعة وتعيش فيها كما يعيش البط في الماء.»

فردت كاترين تقول برقة:

«إنها جميلة ـ إنها تبدو انكليزية.»

فابتسم أليك وهو يقول:

«إنها من ويلز ولكني أفهم شعورك فهي كالتي تعودنا رؤيتها أيام الآحاد يمتطيها الأطفال ويتجولون في الطرقات والقرى أو يدورون بها حول الحقول.»

وكأن ستيفان ساءه أن يتشارك كل من أليك ماين وكاترين في لحظة حنين إلى الوطن، ضغط بشدة على ذراعها وبرقت عيناه وقطب حاجبيه وقال لأليك:

«والآن نرجع إلى عملية الشراء، وأحب أن أذهب لرؤية الجياد»

«بكل تأكيد.»

وبدت الدهشة والارتباك على وجه كاترين لهذه المقاطعة. قادها مضيفها إلى حيث توجد الخيل، فدخل ستيفان وحده وأغلق الباب وراءه وترك كاترين قائلا:

«لن أغيب طويلاً ويحسن بك أن تنتظري هنا.»

ونظر إليها لحظة بعينيه السوداوين النافذتين واستطرد قائلاً:

«والحنين إلى الوطن شعور سخيف تافه.»

لم تجد الوقت الكافي للاحتجاج، لكن عندما رأته يخطو بسرعة إلى حيث وقفت الجياد، تملّكها شعور قوي بأنه يشعر بالغيرة من أليك ماين بسبب تلك اللحظات القصيرة التي تشاركا فيها الحنين إلى الوطن. وأدهشها ذلك الخاطر فلم تفعل شيئاً سوى أن تراقبه وهي متكئة على السور الذي يحيط بالجياد، وعيناها تبرقان كقطع من الأحجار الكريمة.

ومرّ يومان قبل أن يتمكن نيكولاس من التحدث إليها على انفراد. وشعرت كاترين أن لديه أسئلة كثيرة يودّ معرفة اجوبتها، وذلك عندما كان ينظر إليها بعينيه السوداوين أو عندما تفاجئه وهو ينظر إليها أثناء تناول الطعام.

كانت كاترين قد انشغلت يومين بالطفلين بعد وصول المهرين إليها، وتحمس الطفلان للركوب وكانا يودّا لو ركبا المهرين طوال ساعات النهار كلها، حتى أن ستيفان أمر بفترة راحة وسط النهار إشفاقاً على المهرين وليس إشفاقاً على نفسه أو على كاترين.

وتولى ستيفان سحب مهر أليكس من لجامه وساعدت كاترين في تعليم بول وهو يحاول جاهداً إطاعة تعليمات خاله الذي كان من رأيه أن يتعلم الطفلان أصول الركوب ولا يتمسكان بالقشور فقط.وتمتع الولدان بدروس ركوب الخيل كما تمتعت بها كاترين.

ومن الغريب أن أليكس أثبت أنه أحسن الولدين، وذلك لصبره وهدوئه وميله للتعليم وليس لمجرد التظاهر كما هو الحال مع بول.ولذلك أعجب خاله بتقدمه ولاحظت كاترين بعد يومين من صحبتها أن هناك شبهاً كبيراً بين أليكس وستيفان مما اعجبها كثيرا.

وفي إحدى الأمسيات بعد رحلة ستيفان وكاترين إلى قبرص جاءت أثينا ووالدها للعشاء. وفي مساء اليوم التالي تحدث ستيفان ووالدته مع كاترين عن تركيا وعن حياة السيدة ميندوبوليس في اليونان.

ووجدت كاترين الحديث شيقاً فلم تلاحظ تأفف نيكولاس من الوضع وكانت كاترين قد تصرفت بحكمة فلم تثر مسألة الأسهم ثانية أو سوء الفهم الذي حدث بينها وبين ستيفان بسببها، مع أنها كانت تود أن تثير هذه المسألة. وفي الوقت نفسه لاحظت مرة من تصرف ستيفان أنه يتوقع منها ذلك.

وفي الأمسية الثالثة قال نيكولاس لها شاكياً:

«لم أستطع الانفراد بك حتى الآن.»

وكانت كاترين قد خرجت إلى الحديقة بعد العشاء وتبعها نيكولاس قائلاً:

«ستيفان يكاد يترك أعماله حتى يظل في صحبتك.»

واعترفت بقولها:

«كنت أساعده في دروس الركوب مع الطفلين.»

ثم سألت نفسها هل رتب ستيفان ذلك حتى يبعدها عن نيكولاس وتذكرت ما قاله ستيفان لها عند تناول الطعام بأنه سيتدخل ليبعد نيكولاس عنها، عندما اعترفت له أنه لا تجد الوسيلة لابعاده أو الحد من إصراره على ملاحقتها.

وقال نيكولاس:

«هو دبّر ذلك حتى لا أراك.»

ومطّ شفتيه ليعبّر عن مدى استيائه ووضع ذراعه حول كتفيها وقربها منه واستطرد قائلا:

«إنه يسعى لتفريقنا يا جميلتي ولكني لن أمكنه من ذلك.»

وكان تسعى أن تبعد ذراعه عن كتفها ولكنها لم تفعل واكتفت بأن قالت:

«نيكولاس، لا حق لك في التصرف معي بهذا الاسلوب، فأنت خطيب أثينا.»

سألها نيكولاس قائلا:

«وهل كلمك ستيفان في هذا الشأن؟»

وتطلعت إليه وقد اعتراها الخوف لحظة وسألته بدورها:

«وهل كلمك ستيفان في شأننا؟»

فهز رأسه بالايجاب وبان على وجهه الوسيم الاستياء والتحدي ودهشت كاترين لخروجه وراءها إلى الحديقة بينما سبق أن حذره أخوه بأن يعتدل في سلوكه نحوها، وقال:

«لا بد أنه حدثك أيضاً عن وضعنا فقد لاحظت أنك تتجنبين مقابلتي.»

واعترفت قائلة:

«ذكر الموضوع كثيء عابر عندما كنا نتناول الغداء في نيقوسيا ولكني لم أتجنب مقابلتك يا نيكولاس، ولكن ستيفان على حق فأنت خاطب أثينا. وسواء كانت هذه الخطوبة من تدبيرك أم من تدبير ستيفان، لابد أن تكون عادلاً معها.»

وهزت كتفيها بخفة تحت ذراعه. فرد عليها بمرارة قائلاً:

«عادل معها! هذا معناه أني أفقدك يا كاترينا ولن أفعل ذلك.»

«إذن اجمع شجاعتك وافسخ خطبتك.»

هكذا ألحت كاترين إلا أنها أدركت أخيراً كيف سيبدو هذا تسرعاً، فلو حدث وفسخ نيكولاس خطبته فان ستيفان لن يغفر لها ذلك أبداً.

وقال نيكولاس:

«لا يمكنني أن أفعل هذا يا كاترينا لأن هذا تصرف يخلّ بالشرف.»

ونظرت كاترين إليه لحظة وهي تحاول أن تفهم منطق تفكيره وقالت:

«تقول الشرف. وهل من الشرف أن تغازلني وأنت مرتبط بأثينا؟»

وتنهد حتى يؤثر على كاترين ويكسب عطفها عليه وقال:

«إنك لا تفهمين.»

وشعر بنفاد الصبر، وأضاف قائلاً:

«ما فائدة ذلك في أية حال طالما أن ستيفان يرتب خططاً لك أيضاً؟»

فنظرت إليه كاترين نظرة طويلة وهي لا تدري أتصدقه أم لا. ثم هزت رأسها ببطء وقالت:

«خطط لي أنا؟»

على مدى يومين كاملين كانت كاترين ملازمة لستيفان فلم يشر فيهما إلى أي مشاريع لها، ولو أنه فعل لكانت نبهته سريعاً عن ذلك. وهو يعرف ذلك حق المعرفة. ثم قالت لنيكولاس:

«لا بد أنك مخطىء يا نيكولاس.»

وراح نيكولاس يؤكد تدابير ستيفان لها. ولم تروّع نيكولاس الفكرة كما

روّعت كاترين. ولكن في الوقت نفسه كان كارهاً لها. ثم قال:

«لست مخطئاً. قال لي اني أهين شرف العائلة. ليس فقط بإساءتي إلى أثينا ولكن بسبب سلوكي معك لأن لديه خططاً أخرى تخصك.»

وشعرت كاترين بالمهانة واحتجت قائلة:

«ولكن هذا ليس من حقه يا نيكولاس...ببساطة وكل وضوح ليس هذا من حقه.»

أحست كاترين بالضعف فجأة كأن جسمها تحوّل إلى ماء، وراحت ترتجف وشعرت أن يداً باردة قبضت على قلبها وأحست برغبة في البكاء. فلما مال نيكولاس نحوها أغمضت عينيها وكورت يديها الصغيرتين بقوة ووضعتهما على قميصه الأبيض الناصع. فوضع ذراعه حولها وضمها إليه لحظة واستقر ذقنه على شعرها الأحمر وسمعها تقول:

«لا تدعه يفعل ذلك يا نيكولاس.»

«نيكولاس!»

كان ذلك صوت ستيفان. وكان صوته بارداً جافاً واضحاً فأغمضت كاترين عينيها مرة أخرى وتشبثت بنيكولاس بشدة. وكان من طبع ستيفان إذا غضب أن يكون من الصعب الوقوف في وجهه وتحديه. ولكنها خافت أن تنهار وتبكي فيظنها ستيفان بلهاء، ويحتقرها لوجودها مع أخيه في ذلك الوضع.

ثم حاول نيكولاس أن يفك يديها عن عنقه برقة، ونظر إليها وأمسك بيديها لحظة قبل أن يبعدها عنه ونظر إليها مرة أخرى بعينيه السوداوين محاولاً أن يجعلها تفهم. ولكنها كانت تعرف بالتأكيد أنه سيفعل ما يريده ستيفان، وأحست أنها تكرهه عندما تبين لها أنه سيتركها حتماً

ثم سمعت ستيفان يقول له:

«أريد محادثة كاترين على انفراد»

أخذ نيكولاس ذلك القول على أنه أمر بالانصراف. ومدت يدها إلى نيكولاس متوسلة، لكنه هز رأسه ببطء وسار نحو ظلال الأشجار القريبة،

فشعرت بقلبها يغوص في صدرها. وقال ستيفان بحدة:

«وهكذا تبذلين كل ما في وسعك لئلا تشجعيه. أليس كذلك؟»

ونزلت كلماته المتهكمة عليها كالماء البارد فارتجفت. وكان من الطبيعي ألا يفهم توسلها لنيكولاس كي يبقى. ولم تحاول أن تفسر له خطأه. ثم أرادت أن تتبع نيكولاس إلى المنزل فلم تلتفت إلى ستيفان وخطت بعض الخطوات. ولكنها سمعته يقول بغضب وبشدة:

«انتظري. أريد أن أحدثك.»

«ولكني لا أريد الكلام معك.»

وكانت دموع الغضب تحجب عنها كل شيء، سوى منظر نيكولاس وهو يتركها. كانت دموعها تعبّر عن الغضب وعن أحاسيس أخرى لم تستطع أن تعرفها بعد.

«انتظري.»

قال ذلك ثم قبض على رسغها بقوة ليمنعها من الهرب ونجح في وقفها.

«دعني أذهب يا ستيفان ، دعني أذهب.»

كان الخوف يبدو واضحاً في صوتها، وحاولت جهدها الافلات من قبضته ومقاومة أصابعه القوية التي التفت حول ذراعها، لكنه، دارها إليه ونظر إليها غاضباً، وراح يسب ببعض كلمات يونانية. وضغط على ذراعها بشدة أكثر جعلتها تئن وقرّبها منه ونظر إليها بعينين سوداوين تفيضان بغضب ناري وقال لها:

«استمعي إلي. نيكولاس لن يعود إليك. لا تأملي ذلك.»

نظرت إليه وعيناها تفيضان بالدموع وهي تلقي بشعرها إلى الخلف كأنها تتحداه، وقالت بصوت يقطر مرارة:

«لأنك اجبرته على أن يفعل ما تريده أنت.»

«ولكنه لم يفعل، وإلا ما كان معك هنا منذ لحظة. إلا أنه يعلم أني على حق مهما حاول الاعتراض. وليعلم أن واجبه نحو أثينا ونحو أسرته يحتم عليه أن يقلل من اهتمامه بك.»

وقالت تحاول الدفاع عن موقفها:

«حاولت أن أفهمه ذلك.»

ودلت تعبيرات وجهه أنه يشك في كلامها ونظر إليها بازدراء جعلها تشعر بتقلص في أحشائها وقال ببرود:

«سبق أن قلت لي ذلك ولكني رأيت الآن كم تثبطين من حماسه.»

وقالت:

«ولكنك مخطئ.»

ونظرت إليه متوسلة، لكن صوته كان بارداً قاسياً، وتقلصت أصابعه على رسغها. وفجأة أدركت أنها تفعل عكس ما أقسمت ألا تفعله، فهي تبرر موقفها له ولن تفسر له تصرفاتها. وسوف تتركه يظنّ بها ما يشاء، فمن يدري لعله يفكر مرة أخرى متردداً في وضع الخطط لمستقبلها. إذا تصور أنها فتاة عابثة بلا خلق. كان صوته بارداً جافاً وتقلصت أصابعه بشدة حول رسغيها وقربها منه حتى تشعر بقوة جسمه العنيفة وتحس بالغضب الذي جعله قاسياً لا يلين. ثم قال بحدة:

«لم أكن مخطئاً عندما رأيتك بين ذراعي نيكولاس وسمعتك تتوسلين إليه أن يبقى، لا يمكنك الانكار يا كاترين فقد رأيتكما بعيني.»

«إنك تبني اتهاماتك على أوهام.»

وكفت عن التملص من يديه ونظرت إليه بعينين لامعتين وقالت له وهي تضم كفيها معاً وكأنها تصلي:

«إنك لا تصدقني يا ستيفان لأنك لا تريد ذلك، ولكن هذا المنظر لم يكن يدل على شيء، كما تصورت أنت.»

وشعرت أن أصابعه تراخت عن رسغها قليلاً، لكنها لم تحاول أن تسحب يدها. ثم قال لها ببرود:

«إذن فسري لي معنى هذا المنظر الذي شاهدته بنفسي.»

وكان على كاترين أن تخبره بأنها على علم بما يدبره لها من مشاريع لزواجها، وأن تواجه غضبه الجامح عندما تخبره أن نيكولاس حذرها من ذلك ثم قالت له

مرة أخرى بصوت بحه البكاء:

«هذا المنظر لا يدلّ على شيء، وصدقني في ذلك يا ستيفان.»

« سوف أصدقك عندما تخبريني لماذا كنت بين ذراعيه عندما فاجأتكما؟ وإذا لم تفعلي سوف أضطر إلى تصديق ما شاهدته بعينيّ.»

قال ذلك بلهجة تدل على التصميم... ومرة أخرى غضبت لأنها وجدته عنيداً مسيطراً وصاحت قائلة:

«يظن من يسمعك أن لك الحق كل الحق في تقرير مصيرنا ليس لك الحق في أن تعيش حياة الآخرين بدلاً منهم، إنك قد رتبت زواج غريغوري وهيلين كذلك رتبت خطبة نيكولاس وأنينا لأن نيكولاس ليس لديه الشجاعة ليوقفك عند حدك، ولكنك لا تجرؤ على التدخل في مستقبلي يا ستيفان، فلن أقبل الزواج عن طريق المقايضة، وعندما أتزوج أختار بنفسي الرجل الذي أريده، ولن أهتم برأي أحد ولا حتى أنت.»

وأدهشتها ضحكاته فنظرت إليه وهي لا تصدق ثم قال لها:

«إذن هذا كل ما يقلقك!»

وبرقت عيناه في ضوء القمر وفي لحظة شرسة ودت كاترين أن تصفعه، فقد لاحظت أن دموعها وغضبها لا تعني شيئاً بالنسبة إليه بل وجدها شيئاً مسلياً له.

«إني لا أعتبر المسألة مضحكة لهذا الحد يا ستيفان.»

قالت ذلك بعدما تخلصت من قبضة يديه، ووقفت تنظر إليه بغضب وكان جسمها كله يرتجف من أحاسيس مختلفة لم تفهمها، ولكل ما فكرت فيه أن ستيفان يجد زواجها من شخص يختاره لها بنفسه فكرة تضحكه وتسليه.

ولكنه في لحظة أصبح جاداً مرة أخرى، كان ضحكه شيئاً نادراً وقد ساءها أن ضحكاته كانت موجهة إليها. وقال لها بصوت خافت:

«نيكولاس لا يحفظ السرّ.»

ونظر إليها بعينيه السوداوين وهما تتألقان كالفحم المتوهج في الضوء الخافت ومرت لحظة صمت قال بعدها:

«ولكنه لم يخبرك عن الشخص الذي اخترته لك يا صغيرتي.»

فهزت كاترين رأسها بالنفي على نحو حاسم وقالت:

«لا يهمّ من تختاره لي ولكني لن أتزوج إلا رجلاً أحبه.»

«وهل تحبين نيكولاس؟»

سأل ذلك بصوت خفيض ونظرت إليه من خلال أهدابها الطويلة كي تستوعب هذا السؤال ثم قالت أخيراً في هدوء:

«وهل يغيرّ أي شيء، إذا كنت أحبه.»

وابتسم ابتسامة متمهلة لها معنى، وكان لها التأثير الأكيد على حواسها، حتى أنه حاولت أن تتفادى نظراته الساهمة إليها.

«أبداً ولكني لا أريد أن أراك تتألمين يا كاترين.»

«إنك...»

وحاولت عبثاً أن تجد الكلمات التي تعبر بها عن الغضب الذي اشتعل فيها مرة أخرى، وأخيراً قالت:

«لم أر في حياتي رجلاً بارداً متجرداً من الانسانية مثلك، ليس فيك ذرة إحساس، إن كل ما يهمك هو التدخل في حياة الغير لتملي إرادتك عليهم، أما أنت فلا تشعر بأي شيء نحو أيّ شخص.»

«اسكتي!»

وتكلم بصوت خافت ولكن بريق عينيه أحالها إلى قطعة باردة كالحديد، وبدت قسماته القوية السمراء قاسية في ضوء القمر الخافت، وشعرت كاترين بيديها وجسمها كله يرتجف، ولم تستطع أن تعرف إذا كانت هذه الرجفة من الغضب أو من عاطفة أخرى. وعرفت فقط في هذه اللحظة أنه تكرهه كما لم تكره شخصاً آخر في الوجود. وودت لو أخبرته بذلك وردت عليه قائلة وقد تقلصت يداها بشدة:

«لن أسكت ، وأنا لست فرداً من عائلتك ولا يتعين عليّ أن أفعل ما تريده، ولست طفلة حتى تأمرني بالسكوت لمجرد أنك لا تحب سماع ما أقول.»

«كاترينا»

وأتبع اسمها بكلام كثير باللغة اليونانية، وبدا وجهه غاضباً قاتماً وأخذت كاترين تنظر إليه مشدوهة وقد اتسعت عيناها، وفجأة شعرت بخوف من الغضب الذي سببته له.

ومد يده فجأة وجذبها إليه وضمها بقوة حتى أمكنها الشعور بقلبه يخفق بشدة تحت كفيها اللتين وضعتهما على صدره. ثم قبض على خصلة من شعرها الأحمر وجذب رأسها إلى الخلف وقال وأنفاسه تلهب وجهها:

«بارد ومتجرد من الانسانية! كيف تجرؤين أن تحكمي علي بذلك؟»

وشعرت بقوته وهو يعانقها فراحت تقاومه خائفة، ثم تبع ذلك شعور بالاستسلام لهذه العواطف العنيفة، فصدرت منها أنات خافتة وهي ترفع ذراعيها وتطوّق عنقه وتقترب منه. احتوت رأسه الداكن بين يديها وأغمضت عينيها لفترة طويلة. واستسلمت إلى الأحاسيس العنيفة المخيفة التي أيقظها لفترة طويلة . لكنها تذكرت فجأة ألينا أندرياس. لايهمها إذا كان هذا الارتباط قائماً بينه وبين ألينا، وتذكرت النظرة التي بدت في عينيها وهي ترمق ستيفان في ليلة وصولها الى الجزيرة. كما تذكرت ما أخبرتها به ماريا ثم هيلين عن الارتباط بين ألينا وستيفان.ودفعته عنها . إن الوميض القاتم الذي رأته في عينيه عندما رفع رأسه أثار رجفة في كيانها كله، ولكنها نظرت إليه لفترة طويلة ثم قالت بصوت خافت:

«لا يا ستيفان، أنت لا تختلف عن نيكولاس.»

وأمسكها الآن من ذراعيها وضغط بأصابعه على جلدها الأملس وسألها:

«والآن ما هي تهمتي؟»

وبدا لدهشتها ثابت الأعصاب بعدما تغلب على الشعور الجامح الذي اعتراه منذ لحظة

فهمست كاترين تقول:

«ألينا أندرياس.»

واعتراها شيء من الخوف عندما لمحت البريق الخاطف القاتم الذي بدا في عينيه، فنظر إليها بقسماته التي تشبه الصقر وقال وهو يهزها :

«ماذا تريدين قوله؟ وماذا تقولين عن ألينا اندرياس؟»

«إنك سوف تتزوجها.»

قالت ذلك بسرعة وهي تلتقط أنفاسها ثم أردفت تقول:

«قالت لي ماريا ذلك.»

ثم نظرت إلى عنقه الأسمر وهو يردد برقة اسم أخته ماريا وهز رأسه وقال بهدوء:

«إني لا أستطيع أن أوبخ ماريا العزيزة ولكن كان يجب ألا تخبرك بتلك الأمور يا كاترين.»

وردت كاترين بسرعة:

«و لا حتى هيلين؟»

ولاحظت أن فمه تقلص فجأة، ثم ردّ بعد لحظة:

«ولا هيلين كذلك، أنا لست مرتبطاً بالينا اندرياس ولم أرتبط بها أبداً، هل هذا يرضيك؟»

ولم تشعر كاترين في حياتها بضآلتها وضعفها كما شعرت في تلك اللحظة وهزت رأسها لتبعد تلك الخواطر عن ذهنها القلق وقالت :

«لست مجبراً على أن ترضيني يا ستيفان. وإني آسفة لطرقي هذا الموضوع.»

ولم يقل شيئاً، لكنها شعرت أنه لان قليلاً، ومشى بضع خطوات ثم أخرج سيكارة أشعلها، وفي ضوء الولاعة رأت كاترين وجهه وقد كسته ابتسامة باهتة، فتعجبت لسرعة تغيره والسيطرة على هذه العاصفة من المشاعر المتباينة.

واقترب منها ووضع يده على ذراعها وقادها نحو المنزل. وكانت لمسة أصابعه الخفيفة المثيرة على ذراعها قد أشعلت تلك الأحاسيس الغريبة التي انتابتها، فراحت ترتجف ثم نسيت وهي تمشي معه تحت الظلال سبب الشجار الذي قام بينهما، ولم تحاول أن تسأله عن ادعاءات نيكولاس بأنه يعدّ لها خططاً

للزواج.

وقال ستيفان:

«يجب أن نعود يا كاترينا الى المنزل ونتفادى الألسن التي تطلق الأقاويل والاشاعات.

٩ـ الغرقى

منذ تلك الليلة المليئة بالاحداث التي فاجأ فيها ستيفان كاترين ونيكولاس معاً في الحديقة وأظهر غضبه الشديد وهي تبذل كل ما في وسعها لتتفادى الاجتماع بنيكولاس. ولم يكن هذا بالأمر الهين اذ كان ينتهز فرصة غياب ستيفان فيحاول التقرب منها.

وقد نجحت في تفادي لقائه. لكنه لمحها اليوم وهي تغادر المنزل الى الشاطىء للاستحمام، فتبعها في السيارة ولحق بها في أول الطريق المؤدي الى البحر وأقنعها أن تذهب معه الى الطرف الشمالي من الجزيرة، مكانه المفضل للسباحة ولم يعبأ نيكولاس مطلقاً بسكوتها واضطرابها حتى ولو كان قد لاحظه.

وكان الطفلان قد ذهبا الى قبرص مع غريغوري وهيلين والبنتين الصغيرتين، فوجدت كاترين نفسها وحيدة وكانت تود تلافي صحبة نيكولاس التي تجرّ عليها المتاعب دائماً ولو أنها في الحقيقة كانت تفتقده.

وكان نيكولاس يكره فكرة وجودها كلّ صباح مع ستيفان والولدين وهو يعلمها ركوب المهرين والاعتناء بهما. ونظر إليها بشيء من الشك الآن عندما

ابتسمت لنفسها لنادرة طريفة خطرت لها. وكان صبر ستيفان مع الولدين يدهش كاترين وهي الصفة الوحيدة المحببة الى النفس التي اكتشفتها فيه كاترين حتى الآن. كان يعاملهما بحزم إذا أخطآ عن عمد أو أساءا التصرف، لكنه لا يفقد الصبر معهما أبداً. وكان واضحا جداً أن الولدين يعبدانه.

وفي الحقيقة كان الولدان مدللين لكثرة الاعجاب بهما فلم تدخر هيلين وسعاً في تدليلهما، وظنت كاترين أن سبب حب هيلين لهما كان يرجع إلى حبها لوالدهما، وهي فكرة كانت كاترين لا تعيرها أي اهتمام. أما نيكولاس فلم يهتم بهما كثيراً وربما رجع ذلك إلى احتلالهما مكانة في قلب والدته، الأمر الذي لم يكن يعجبه.

كان طبيعياً أن يشبع نيكولاس فضوله حول أحداث تلك الليلة في الحديقة.ولكن كاترين لم تغفر له تركها تحت رحمة ستيفان والذهاب إلى المنزل، ولو أنها لم تنتظر منه أن يفعل شيئاً آخر. شعرت أن كرامتها أهينت عندما تخلى عنها وكانت تود لو أنه بقي ودافع عنها.

ولم يصدق نيكولاس كاترين عندما أخبرته أن الموضوع الذي طرقه ستيفان معها في الحديقة كان موضوع لقائها به ولذلك قال لها:

«إذا كان ستيفان يريد التحدث في هذا الموضوع فلماذا أراد رؤيتك على انفراد؟»

وقعد نيكولاس الى جانبها على الرمل ووضع يديه وراء رأسه وأغمض عينيه وراء نظارته الشمسية. كان يبدو جذاباً في زيه المكون من بنطلون أبيض ناصع وقميص أزرق فاتح يشف عن جسمه الذي لفحته الشمس. وتذكرت كاترين المرة السابقة التي فاجأها فيها ستيفان عندما كانا يسبحان في هذا المكان بالذات.

وفجأة تمنت كاترين أن تكون أكثر صلابة مع نيكولاس فلا تقبل دعواته بعد اليوم. لكنها كانت عاجزة عن مقاومة إلحاحه. وتأكدت أن ستيفان

سوف ينتبه آجلا أو عاجلا أنهما معا على الشاطئ، فيأتي للعثور عليهما.

كانت فكرة احتمال حضوره تثير قلقها ولم يكن في وسعها أن تفعل شيئاً الآن. وكان نيكولاس قد رأى أخاه يدخل مكتبه للعمل وانتهز هذه الفرصة ليلحق بكاترين على الطريق المؤدي الى الشاطئ.وكان واثقاً أنه سيجدها ولن تروغ منه في جزيرة بحجم داكوليس الصغيرة إذا أراد فعلا أن يبحث عنها ويجدها.

وعادت كاترين تقول وهي تبتسم:

«كان لدى ستيفان الكثير للتحدث به. ولكنه لسبب أو لآخر لم يحدثني عن كل ما يريد.»

فتح نيكولاس عينيه وسألها وهو ينظر إليها بفضول لبرهة قائلاً:

«هل تعاركتما؟»

فهزت كاترين رأسها بالايجاب وودت أن تغيرّ الحديث كله ولا تدع نيكولاس يعرف نتائجه أو ما حدث تلك الليلة. ثم اعترفت لنيكولاس قائلة:

«قد تسميه عراكاً تبادلنا بعض الكلمات الجافة.»

«ولكن كنتما قد تصافيتما عند رجوعكما إلى الفيللا، وإني أقسم على ذلك.»

ثم خلع نظارته ونظر إليها مفكراً وقال :

«وهل عاتبك بعد ذلك وصالحك يا كاترينا؟»

وكانت هذه هي الحقيقة، لكنها أدارت وجهها عنه وشغلت نفسها باللعب في الرمل وقالت له بهدوء:

«تصافينا...»

وقرب وجهه منها وأعاد سؤاله بالحاح:

«وهل تبادلتما القبل وهل تصالحتما »

فقطبت كاترين وقالت له:

«ولكن هذا لا يخصك إطلاقاً يا نيكولاس.»

ثم رد عليها يقول وهو يضحك ضحكة صفراء:

«إذن لقد قبلتك. وأنت امرأة مثيرة حقاً يا كاترينا الجميلة حتى تجعلي أمير ينس نفسه ويقبلك في ضوء القمر كأني عاشق غرير.»

وردت عليه بحدة:

«إنك تبالغ كثيراً يا نيكولاس فلم يكن في الأمر شيء.»

والتهبت وجنتاها. وأرادت أن تقنع نفسها عبثاً أن سبب خجلها والتهاب وجنتيها يرجع إلى أشعة الشمس الساخنة وحدها ولكنها شكت في أن نيكولاس يعتقد الشيء نفسه.

فرد قائلاً يتهكم:

«لا لم يكن في الأمر شيء، أنت لا تفهمين يا جميلتي، فاستيقظن ليس بالرجل الذي يكتفي بالتنزه في ضوء القمر وتقبيل فتاة جميلة إنه...»

وهز كتفيه ثم عاد يقول وهو ينظر إليها بعينيه الداكنتين ويبتسم ابتسامة ذات مغزى:

«ذئب؟ هذه الكلمة التي كنت أبحث عنها للتعبير ياكاترينا. وأنت فتاة محظوظة إذ أمكنك الهرب منه بعد قبلة واحدة فقط يا جميلتي.»

وردت عليه قائلة:

«لاتهمني الكلمة التي تبحث عنها ومهما كان رأيك في أخيك فأنا لست الفريسة السهلة التي تظنها.»

نظر إليها مبتسماً لأنه استطاع أن يغضبها وأدار الحديث ثانية عن نفسه مزهواً:

«وهل تعاركتا بسببي؟»

قال ذلك وعيناه تبرقان وجهه الأسمر يبتسم ليغيظها. كان يهمه أن يكون محور حديثهما ولذلك قابلت كاترين غروره بابتسامة غامضة ثم قالت معترفة:

«الجزء الأول من العراك كان بسببك لكن معظم العراك كان بسبب تدخله في شؤون حياتي وترتيب مشروعات لي لا حق له فيها.»

وغضب نيكولاس للوطا فقد تزعزع فيه غروره وعبس لذلك. ثم نهض وجلس ينظر إليها وقد ملأ الاهتمام وجهه. كان واضحاً أن كلامها هذا لم يبعث الراحة في نفسه فوضع يديه فوق ركبتيه وخلع نظارته الشمسية وأمسكها بإحدى يديه:

«ليتك لم تقولي له شيئاً عن هذا الموضوع فهو سيعرف حتماً أني مصدره.»

دهشت لذلك ونظرت إلى وجهه قائلة:

«هذا بالضبط ما فهمه، ولا بد أن تعرف أني سوف أكلمه في هذا الموضوع عندما أراه يا نيكولاس وكان عليك أن تعرف أني لن أدعه يفلت بدون أن يعلم به.»

وجلس برهة صامتاً ثم ضاقت عيناه وهو ينظر إليها بدهشة متسائلاً:

«ولما عرف أني أخبرتك ماذا... كيف... طبعاً أنهيتما الموضوع بسلام... أليس كذلك؟» ومرة أخرى حدق فيها متسائلاً.

وملأت كاترين كفها بالرمل الناعم وراحت تنثره وتذكرت فجأة شيئاً جعلها تقطب جبينها وقالت بهدوء:

«ضحك عندما أخبرته بالموضوع.»

وكانت كمن يتحدث إلى نفسه.

وبدا نيكولاس وهو غير مصدق أذنيه. وقال:

«ضحك؟ ولماذا يضحك من موضوع كهذا؟»

وفكرت لحظة ثم قالت:

«لا أدري اعتبر الموضوع مضحكاً لأنني كنت غاضبة جداً وود أن يعرف ما اذا أخبرتني بن هو الرجل الذي يفكر فيه للزواج مني.»

ونظرت إليه لحظة ثم سألته:

«أنت لم تخبرني بذلك يا نيكولا هل تعرفه؟»

وهز نيكولاس رأسه نافياً ولكن عينيه برقتا وظهرت ابتسامة على وجهه الوسيم جعلت كاترين تشعر بالقلق.

وقال وهو يضحك ويهز رأسه:

«لو أنني لا أعرف ستيفان جيداً... لو أنني لا أعرف أنه شيء، لا يمكن أن يصدقه أحد لظننت أنه يعني نفسه يا جميلتي.»

فنظرت إليه كاترين بوجه عابس وقالت:

«نيكولاس!»

ومرة أخرى ضحك وهو يهز رأسه بهدوء:

«لو أنني لا أعرف أنه من المضحك حقاً أن يطرأ على الذهن مثل هذا الشيء.»

ومرة أخرى قالت غاضبة:

«نيكولاس!»

كانت تحس بغضب أكثر مما بدا في صوتها ولكن هذه الفكرة نفسها، طرأت على ذهنها فجأة فارتبكت وأخذت ترتجف كأوراق الأشجار في مهب الريح كانت بعيدة الاحتمال. بينما ضحك نيكولاس وهز رأسه عجباً وقال لها:

«إنها مجرد دعابة يا جميلتي فهي فكرة بعيدة الاحتمال.»

وقالت كاترين بهدوء:

«لا... لا... بكل تأكيد. فرجل مثل ستيفان لا يمكن أن يجدني عروساً مرغوباً فيها، إنها فكرة غير واردة على الاطلاق.»

وكان نيكولاس يبتسم وينظر إليها بوجهه الوسيم الأسمر بثقة وقال بصوت رقيق:

«قد لا يرى ستيفان أنك عروس جميلة أما أنا فأراك رائعة.»

ومد يده فأخذ يدها ورفعها إلى شفتيه ليلثمها واستطرد قائلاً:

«سوف تكونين عروساً رائعة الجمال يا كاترينا.»

ونظر إليها وقد تألقت عيناه البنيتان وخفض صوته حتى أصبح عميقاً مغرياً

وقال:

«سوف نكون عروسين جذابين أنا وأنت يا كاترينا أليس كذلك؟»

وابتسمت كاترين ابتسامة لا تدل على شيء، لأنها تعرف أنه لا يأخذ الأمور بجدية ولا حتى مثل هذا الموضوع، وقالت له وهي تهز رأسها:

«أشكرك يا نيكولاس ولكن الطريقة التي تعامل بها زوجتك المستقبلة تجعلني أرفض هذا الشرف بدون أي تردد؟»

وبدت كاترين غير مصدقة اقتراح نيكولاس بالنسبة الى ستيفان ولكنها لم تبد أي نية لمناقشته.

وضحك نيكولاس برقة فبدت أسنانه السوية ومال نحوها وهو يقول بحدة:

«إنك مخلوقة لا قلب لها ولسوف تدفعين الثمن غالياً لذلك يا جميلتي.»

وقبل أن تنتبه لما كان يقصده ضمها إليه وهو يقبض على كتفيها بعنف وقالت وهي تقاومه بشدة:

«لا يانيكولاس، لا...»

واعتراها الخوف فجأة فراحت تقاومه وتقاوم يديه اللتين أطبقتا عليها بقوة، فضحك برقة ولكنها لم تشعر في عناقه تلك الرغبة الضارية التي جعلتها تخضع لستيفان، ووجدت نفسها غير مستعدة على عكس ما كانت تشعر من قبل.

ولما تركها أخيراً لم تبتسم، كما اعتادت أن تفعل، بل نظرت إليه وقد بدا الغضب في عينيها الخضراوين المتألقتين كما بدا الاستياء واضحاً على وجهها، الأمر الذي لم يكن نيكولاس يتوقعه.

كان واضحاً أن رد فعلها قد أذهله وقطب لحظة وهو ينظر إليها ثم قال:

«كاترينا لماذا تغضبين مني؟»

فدفعته كاترين بعيداً عنها بكلتا يديها ثم جلست مرة أخرى وهي تهز شعرها لتزيل عنه الرمال وقالت:

www.liilas.com

«أنت تعرف سبب غضبي، فأنت خطيب أثينا وقد ناقشنا ذلك الموضوع طويلاً».

وقال نيكولاس يذكرها وقد بدا الاستياء على وجهه:

«ولكنك تعرفين شعوري نحو أثينا. فأنا لا أحبها. لا أشعر نحوها بأي عاطفة».

كان واضحا أنه لا يحب أحداً يرفض مغازلاته ولم يخف ذلك. وردت عليه كاترين قائلة:

«إذن اجمع شجاعتك وصرّح بذلك ثم افسخ الخطبة قبل أن تحطم قلبها».

ثم سكتت لحظة أضافت بعدها بصوت رقيق:

«إنها تحبك كثيراً يا نيكولاس ولكنك سوف تجعلها تعسة جداً إذا لم تحسن معاملتك لها، وتغير من أسلوبك نحوها».

وقال نيكولاس متسائلا:

«ولماذا أغير أسلوبي إذا كانت هذه المخلوقة البلهاء تحبني كما أنا؟هذا بالاضافة إلى أنني لا أستطيع أن أغير أسلوبي».

كان لا بد لكاترين أن تلحظ نوعاً من المنطق العنيف في كلامه. فقد قال كل شيء بصراحة وتناول إحدى يديها في يديه وقبّل أصابعها وأخذ يتطلع إليها بعينيه الداكنتين. ثم قال:

«بل أنا لا أتغير إلا لاجلك أنت فقط يا كاترينا الجميلة. ولكن ماذا تفعلين إذا فسخت خطبتي؟ هل تقبلين الزواج مني عندئذ؟»

فقفز قلب كاترين هلعاً وهي تتصور رد فعل هذا القرار الحاسم على ستيفان. وتنبهت أنها قالت شيئاً لنيكولاس اعتبره تشجيعاً له ولذلك كان يجب أن تصلح الضرر الذي أحدثته وأن تتراجع فيا قالته، ولم يكن في نيتها على الاطلاق أن يتخذ خطوة واحدة لصالحها، وكانت مصلحة أثينا هي كل ما يهمها.

وأخذ يدها يقبّل أصابعها مرة أخرى ونظر إليها بعينيه الداكنتين متسائلاً وهو ينتظر ردها وسألها مرة أخرى:

«كاترينا. هل أفسخ خطبتي؟»

وكان من العسير أن تعرف إذا كان جاداً فيا يقول أم لا. ربما كان يمزح معها كما مزح عندما قال إن ستيفان يريد اقلاقها عروساً له. ولكن يجب على كاترين ألا تجازف بشيء. فقالت:

«بالطبع لن تفسخ خطبتك بسببي، لأن هذا آخر شيء أريده يا نيكولاس، فلن يسمح ستيفان بذلك».

وسحبت يدها من يده ونظرت إلى البحر الأزرق المتلألئ، وأمواجه الهادئة، على بعد أقدام قليلة منها، وعضت شفتها في قلق وهي تنظر إليه من خلال أهدابها الطويلة. وبرقت عيناه وأصبحتامثل الفحم..مثل عيني أخيه وقال:

«ستيفان لابد أن ترضي ستيفان دائما حتى أنت يا جميلتي! فعندما حضرت إلى الجزيرة كنت تلك الثائرة الجميلة، ولكنك الآن تشعرين بالخوف مما قد يقوله ستيفان لك».

ونفت ذلك قائلة:

«إنني لا أخاف».

ولكنها كانت تعرف أنها لا تقول الحقيقة. وأضافت بصوت اهدأ بعد لحظة:

«إنه ليس الخوف منه بالضبط، بل لأنه دائما يبدو واثقاً من كل شيء، وهو مثلي لا يحب أن يرى أثينا تتألم... قال هو نفسه ذلك».

«وهل تصدقينه؟»

وهزت كاترين رأسها بالايجاب اذ كانت واثقة مما تقول:

«نعم يا نيكولاس، أصدقه».

«وهل تظنين انه ليس لي قلب؟»

ولاحظت أنه يرفض تلك الفكرة ولكنها كانت فكرة صحيحة إذا واجهت الحقائق بصراحة .نيكولاس لطيف وجذاب وله تأثير عليها ولكن الباعث على تصرفه هو هدف معين في نفسه، وهي تخدع نفسها إذا فكرت عكس ذلك. ثم قالت بعد لحظة:

«إذا كنت تريد الاستمرار في خطبتك لأثينا حسب الترتيبات التي أعدت لها ولك، فلا بد أن تراعي شعورها أكثر مما تفعله الآن. هذا كل ما هناك.»

وقال بسرعة:

«هذا كل ما هناك! أنت تحدثينني وكأنك مدرّسة وتلقين علي محاضرة كما يفعل ستيفان ثم تقولين لي: هذا كل ماهنالك!»

«أرجوك يا نيكولاس، أنا لم أقصد إلقاء محاضرة بل وددت لأجلي ولأجل أثينا أيضا أن تكون أقل...»

ولم تكمل عبارتها، ملأ وجهها الخجل فلم تنظر إليه بل راحت تعبث بالرمال البيضاء الفضية وتجعلها تنساب من بين أصابعها، وتمنت لو رفضت الحضور معه هنا إلى الشاطىء.

كان السكون يحيط بهما مناظر الجزيرة تبهرها ونيكولاس يروق لها. ولكن معنى هذا أنها كانت تخدع نفسها وتتصور أنها تحبه. لم تكن عاطفتها نحوه بذلك العمق، لكنها كانت تجده، مثل غيرها من النساء، لطيفاً جذاباً كانت متأكدة أنه سيحاول في أي لحظة الآن أن يقنعها، أن ينسيها عدم إخلاصه لأثينا وينسيها ستيفان وعدم رضاه عن سلوكها حتى تخضع وتستسلم لسحره الذي لا يقاوم. ولكن لم يكن وجه أثينا الصغير المجرّد من الجمال هو الذي لاح لها الآن، بل تخيلت وجه ستيفان القاسي الذي لا يلين. نهضت واقفة فجأة وقد بدا أنها مصممة على رأيها، وأزالت الرمال عن ساقيها وذراعيها العاريتين اللتين لفحتها الشمس وقالت له بهدوء:

«سأرجع إلى المنزل يا نيكولاس وأرجو ألا تتبعني.»

وفي لحظة هبّ واقفاً بجانبها، وقد ظهر الغضب في وجهه وأصبح جبينه داكناً، وقبض على ذراعها بشدة وقال بصوت حاد:

«لن تتركيني يا كاترينا. ولا أدري سبب معاملتك لي بهذه القسوة ولكني أشعر أن أخي له يد في ذلك فهو يحذرك من الحديث معي على انفراد، وأنت خائفة من

مخالفته.»

ونظر إلى وجهها بعينيه الداكنتين يريد جواباً، وهو يرفض أن يصدق أن معاملتها له بهذا الجفاء لا ترجع إلى سبب آخر غير ستيفان.

«كاترينا!»

وجذبها إليه وهو يحاول اقناعها هامساً باسمها مرة أخرى رافعاً وجهها إليه ويقول:

«كاترينا يا جميلتي.»

ورفعت رأسها تنظر إلى نيكولاس لكنها رأت وجهاً آخر قريباً جداً ينظر إليها. وجه كالصقر بملامح جامدة قوية وعينين سوداوين تبرقان وفم صارم ينتزع منها كل مقاومة. فهزت رأسها فجأة وانسابت من بين ذراعي نيكولاس، ورأت نفسها تجري خوفاً نحو الأشجار، وتتجه إلى الطريق ولم تحاول أن تنظر خلفها...وسمعت نيكولاس يناديها وهو يتعجب من هروبها المفاجىء،وسمعته يتقدم نحوها بين الأحراش وهو قلق مصمم أن يلحقها ويعثر عليها، فزادت من سرعتها ثم تسلقت المرتفع إلى الطريق. وفي تلك اللحظة لم تدر لماذا اختارت أن تهرب من محاولات نيكولاس بتلك الصورة سوى أن هروبها المفاجىء هذا كانت له صلة برؤيتها الخاطفة المخيفة لوجه ستيفان ولم تجد لذلك تفسيراً.

«كاترينا!»

وشعرت أن نيكولاس تقدم نحوها أكثر فمرت من أمامه لاهثة وهي تحاول أن تزيد من سرعة خطواتها، وكان شعرها الأحمر مشعثا وقد عبثت به أغصان الأشجار، إلى أن رأت أخيراً الطريق يلوح أمامها. وفرّت من الظلال إلى ضوء الشمس الساطع الذي كان يعمي عينيها وشعرت بساعدين قويين يمسكان بها لتقف في مكانها، وهنا أدركت أنه ستيفان الذي يمسك بها وليس نيكولاس. كانت تتنفس بصعوبة ولم تستطع الكلام فراحت تهز رأسها.

ونظرت كاترين إلى وجهه فرأت خطوطا رفيعة حول عينيه وفمه، ورأت

نظرة قوية عنيفة في عينيه السوداوين جعلتها ترتجف خوفاً، ولكنها رفعت أصابعها ولمست وجنتيه بصورة تلقائية وقالت هامسة وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

«ستيفان، ماذا حدث؟»

فرد عليها قائلاً:

«أين نيكولاس؟ »

كان لصوته نبرة باردة ونظر نحو الأشجار فرأى نيكولاس يخرج من بينها لاهثاً وقد بان الغضب في عينيه. وقال نيكولاس بصوت عنيف متقطع قبل أن يستطيع ستيفان الكلام:

«هكذا! كان عليّ أن أعرف ذلك بالطبع...»

فهزت كاترين رأسها ولم تحاول أن تتحرك بعيداً عن الذراع التي أحاطت كتفيها. كانت الأصابع القوية قد امتدت لتغطي كتفها وبقيت بجانب ستيفان الذي قال لنيكولاس في صوت فاتر هادىء، ارتجفت له كاترين:

«انا في حاجة إليك»

ثم أضاف بحسم عندما بدا على نيكولاس أنه يريد مناقشته:

«ولا تناقشني يا نيكولاس فهناك شيء هام وعاجل أريدك من أجله»

وفسر له ما يريد باختصار باللغة اليونانية بينما سار الثلاثة نحو السيارات الواقفة. ورمق نيكولاس كاترين بنظرة خاطفة قلقة، وشعرت كاترين أن هناك شيئاً يحدث، فقد نطق ستيفان اسمها مرات كما أن طريقة ستيفان فوجدته أكبر سناً وأكثر حزناً منه في أي يوم آخر كانت نظرة عينيه وصوته وكل شيء فيه يدل على أن شيئاً فظيعاً وقع. فاستحلفته أن يخبرها بما جرى وهو يقودها نحو السيارة بينما ركب نيكولاس سيارته بدون أن ينطق بكلمة واحدة.

ومرة أخرى توسلت إليه كاترين وهو يدير محرك السيارة وقالت:

«أرجوك يا ستيفان أخبرني بما وقع»

وظل صامتاً لحظة، وظنت كاترين أنه غاضب عليها لوجودها مع نيكولاس مرة ثانية ولكنه وضع يده على يدها بحنان وهو يقود السيارة على طول الطريق الضيق المتعرج إلى المنزل.

«كنت أود أن يتسع لي الوقت لأقول لك برفق أكثر ولكن لا وقت لي فيجب أن أعود لأشارك في البحث»

ونظر إليها لحظة وتجمدت كاترين وأضاف قائلاً:

«أنت تعلمين أن غريغوري وهيلين فكرا في مصاحبة الأطفال في نزهة على ظهر المركب»

وأومأت برأسها وشعرت بقلبها يغوص بين ضلوعها واستطرد قائلاً:

«وقع حادث لم تحطم فيه المركب عثروا حتى الآن على غريغوري وهيلين وبول سالمين»

وخيل إلى كاترين أنها تحولت إلى تمثال من الثلج فبردت يداها وشعرت رأسها يدق بشدة ويكاد ينفجر وقالت في لهفة:

«هل هم...»

فهز رأسه وقال لها:

«غريغوري فاقد الوعي وهيلين فقدت الوعي وهم ينتشلونها من الماء أما بول فلم يصب بشيء»

فأغمضت كاترين عينيها وشكرت الله على سلامة بول، وبعد عدة ثوان استوعبت تماما ما قاله ستيفان وتنبهت أنه لم يشر إلى أليكس والبنتين الصغيرتين وكانت كاترين تحب صوفيا ومليتا، لكن كل أفكارها كانت مع أليكس في هدوئه ووجهه الصغير الجاد وصاحت تقول:

«لا، لا، يا ستيفان، لا، لا...»

ومرة ثانية أمسك ستيفان يدها بأصابعه القوية يضغط عليها ويريد أن يخفف من حزنها، وكانت تشعر بالرغم من لوعتها أنه يود أن يفعل الكثير

لمواساتها. يود أن يأخذها بين ذراعيه ويجعلها تدفن وجهها في صدره لتبكي أليكس ولكن لم يكن هناك وقت كما قال. فالبحث مازال جارياً ولذلك يجب أن يشارك فيه ومادام هناك أي أمل في بقاء الأطفال الثلاثة على قيد الحياة فمن واجب كل رجل قادر أن يبحث عنهم. ثم فكرت فجأة في هيلين وكيف أنها شعرت بالأنانية بعد ردة الفعل الأول. فلم تميّز أن طفلتي هيلين مفقودتان أيضاً. فنظرت إلى وجه ستيفان الجامد الداكن بحنان ولا بد أنه تأثر كذلك فهو يحب الأطفال كلهم وخصوصاً أليكس وبول. ومدت يدها تغطي يده التي كانت تمسك بعجلة القيادة وتقود السيارة بمهارة وسرعة زائدة فوق الطريق المتعرج. ثم قالت:

«آسفة يا ستيفان»

وأدار رأسه لينظر إليها ويقول برقة زائدة:

«ولماذا تعتذرين لي يا صغيرتي؟»

ووجدت كاترين أن رقته جعلتها تميل أكثر إلى البكاء. لم تشأ أن تعقد الأمور أكثر ببكائها فقالت:

«لأني كنت أنانية. فكرت في أليكس فقط ونسيت هيلين. ولكن ما مدى إصابة كل من غريغوري وهلين »

قالت ذلك بصوت حزين...وقال :

« عندما علمنا بالخبر قيل لنا إن هيلين قد أفاقت أما غريغوري فهو في طريقه إلى الوعي. وعندئذ تنبها أن الأطفال الثلاثة مفقودون. ولا بد أن التيار جرفهم وهم متعلقون بحطام المركب.»

وشعرت كاترين أن ستيفان يرفض مجرد التفكير في غرقهم. ولـذلك أحست فجأة أنها عرفته أفضل بكثير من قبل، وأنها أصبحت قريبة منه أكثر من قبل. وقبل أن يصلا إلى الفيلا التفت مرة أخرى ونظر إليها وقال برقة:

«كاترينا. لا يزال أمل...»

فاستعذبت لفظة اسمها باليونانية حتى في ذلك الوقت الحالك وقالت:

«هل يظنون أن الأطفال يمكن العثور عليهم؟»

ولم تجرؤ على ذكر أليكس الذي عليها أن تتخيله غارقاً في البحر وشعرت برغبة ملحة في البكاء. وقال ستيفان بصوت هادئ:

«هناك أمل ولن أتخيل غير ذلك. لقد خرج الجميع بالطبع للبحث عنهم ولكن هؤلاء الصغار الثلاثة...»

ثم أوقف السيارة ووضع رأسه على ذراعيه، وكانت يداه تقبضان على عجلة القيادة بشدة وراح يتلو صلاة باللغة اليونانية بصوت هامس حزين.

وبرقت الدموع في عيني كاترينا وودت لو مدت يدها ولمست رأسه المنحني، وقبل أن تواتيها الشجاعة وتفعل ذلك رفع رأسه وخرج من السيارة. فنزلت كاترين وراءه ولم تنتظر أن يفتح لها الباب ووقفت أمام الفيلا تنظر إليه بحنان وتقول متسائلة:

«ماذا يمكنني أن أفعل؟»

كانت عيناها واسعتين وقد بدا فيهما الألم العميق واللوعة على الأطفال الثلاثة المفقودين. وأمسك ستيفان بيديها لحظة ثم قال لها برقة:

«صليّ من أجلنا يا حبيبتي»

ثم ذهب.

nlo

١٠ـ لغة القلب

بدا المنزل ساكتاً على غير العادة، فارتجفت كاترين رغم دفء الجو وحرارة الشمس التي بدأت طريقها الى الغروب. قامت من مقعدها في غرفة الاستقبال واتجهت الى النافذة العريضة، ووقفت تتطلع الى المنظر الطبيعي الذي ألفته. فالحديقة تزخر بالزهور المتنوعة، ممراتها المتعرجة وأشجارها الوارفة تحجب عن العيون اسطبل خيول ستيفان ومهري الولدين.

وكانت تشعر أن السيدة ميدوبوليس ترقبها بنظراتها، وفجأة تمنت لو وجدت من يعينها على تحمل هذا الحزن الذي لا يحتمل. فهي بحاجة الى البكاء ولكنها لم تكن واثقة أن السيدة ميدوبوليس بوجهها الجاد الذي يخفي حزنها ستقرّ هذا البكاء.

واستدارت عن النافذة ثم نظرت الى السيدة العجوز، الجالسة على أحد المقاعد القريبة ذات الظهر المستقيم، هادئة ساكنة في حزنها حتى إن كاترين تبكي ولكن السيدة نادتها قائلة:

«كاترينا.»

ومدت إليها يداً نحيلة صغيرة، فأسرعت إليها وأمسكت بتلك اليد، ورأت لأول مرة الحزن العميق في عينيها السوداوين اللتين تشبهان كل الشبه عيني ستيفان.

وركعت كاترين بجانب السيدة العجوز ووضعت رأسها على ركبتيها،ثم وضعت السيدة ميدوبوليس يدها على شعر كاترين الأحمر النحاسي وأزاحت

خصلاته البراقة عن جبينها في لمسات رقيقة وفاح عطرها الغريب الذي تستعمله دائماً. ثم انهمرت بعد ذلك دموعها.

قالت السيدة ميدوبوليس وهي ما زالت تدلك جبهتها بحركات رتيبة أراحت كاترين:

«هل تودين البكاء يا صغيرتي؟ابكي اذا أردت ذلك.»

«انا جبانة في مثل هذه المواقف وآسفة لأنه تنقصني شجاعتك.»

اجابتها السيدة ميدوبوليس قائلة بحنان:

«لست شجاعة لكنني أكبر منك سناً، فانا أيضا أبكي حزناً على صوفيا وطلينا وكذلك على ألكسندر أبكي بدموع صامتة. أما أنت فما زلت حديثة السن وبحاجة الى البكاء.»

وامتدت اليد الرقيقة على جبهتها فرفعت رأسها وبدت الملامح الداكنة مفعمة بالعاطفة حتى أن كاترين أجهشت بالبكاء. فأغمضت عينيها وتشبثت بثوب المرأة العجوز الحريري وراحت في محاولة يائسة تبعد عنها طيف أليكس الصغير وهو غارق في البحر خائف مذعور يكاد من صغره لا يرى في رحاب الخضم الواسع، ثم قالت باكية:

«إنني لا أحتمل فكرة ـ أن يكون أليكس....»

«بل تحمّلي يا صغيرتي.»

وأخذت تجفف دموع كاترين بمنديلها الأبيض وتقول:

«سبق لك تحمل المآسي يا صغيرتي، ويمكنك تحملها الآن إذا لزم الأمر، ولكني أطلب من الله أن يمنع الشر.»

«استيفان طلب مني الصلاة من أجله.»

قالت ذلك وهي تتخيل رأس ستيفان منحنياً على يديه وهي يصلي.

«إذن يجب أن تصليّ ياكاترينا.»

وطرأ على ذهن كاترين فجأة عدد المآسي التي تعرضت لها السيدة ميدوبوليس في حياتها، فزوجها توفي في ريعان شبابه وتركها تشقى، وحدها

liilas.com

خمسة أطفال صغار، ثم فقدت بعد ذلك ابنتيها الشابتين، والآن مجرد التفكير في فقد ثلاثة من أحفادها الأعزاء، يعتبر شيئاً لا يحتمل، لكنها وجدت نفسها قادرة على مواساة كاترين التي قالت لها بصوت هادئ:

«كنت أحب ماريا كما أحببت أمي.»

وأومأت السيدة ميدوبوليس قائلة:

«نعم كانت ماريا ابنة جميلة وقد افتقدتها كثيرا.»

«وأنا كذلك.»

وشعرت كاترين بغصة في حلقها عندما تذكرت أن أليكس قد يفقد حياته هو الآخر وهو بعد صغير السن، ثم رجعت تقول:

«أليكس يشبهها كثيراً مما يجعل المأساة شديدة.»

«كاترينا!»

وراحت المرأة تدلك وجهها وجبهتها مما جعل كاترين تبكي طويلا ورأسها في حضن المرأة العجوز.

وكانت الشمس قد غربت وحل المساء عندما رن الهاتف،فقفزت كاترين بسرعة وبدا في عينيها المحمرتين شبه أمل، لكنها وقفت لفترة طويلة تتأمل الهاتف. أما السيدة ميدوبوليس فجلست في مقعدها بدون حراك كتمثال حجر، وأشارت بيدها الصغيرة النحيلة الى الذي كان يرن باستمرار وقالت لكاترين بصوت حزين:

«أرجوك.ليس لديّ الشجاعة أن أرد ياكاترين.»

ونبه هذا التصريح كاترين فأسرعت والتقطت السماعة ويدها ترتعش وهي تضعها على أذنها. وقالت:

«هاللو»

وشعرت كاترين بالراحة وهي تسمع صوت ستيفان في الجهة الأخرى من الخط متفائلا سعيداً، يسرّ إليها بأخباره السارة. وانسابت دموعها ثانية. وكانت دموع الفرح هذه المرة...اذ تأكدت من نبرة صوته أنه يحمل أخباراً طيبة.

«كاترينا!»

«ستيفان!» .

وتحشرج صوتها، لكنها التفتت الى السيدة ميدوبوليس بسرعة وابتسمت ثم قالت له:

«ماما هنا ونحن...ونحن.»

«لك أن تكفكفي دموعك يا حبيبتي فقد نجا الصغار الثلاثة، وهم بالطبع في حالة ذهول ورعب وبهم بعض الرضوض ولكنهم نجوا.»

فتخيلت وجهه وقد كسته ابتسامته النادرة تضيء قسماته القوية السمراء.

«لا أقوى على كبح دموعي.»

وكانت تضحك وتبكي في آن واحد وودت لو كان معها الآن لعانقته فرحا بدون تردد. وفي الحقيقة كانت تود أن تفعل من غير أن تسأل نفسها عن سبب ذلك. وتقدمت السيدة ميدوبوليس نحوها فلاحظت كاترين أنها هرمت فجأة وبدت صغيرة الحجم ضعيفة المظهر عما كانت عليه منذ بضع ساعات، ناولتها كاترين السماعة فكلمت ابنها في هدوء باللغة اليونانية ثم استدارت وابتسمت لكاترين واستمعت اليه ثانية وابتسمت ثانية لكاترين ثم وضعت السماعة بعناية.

«ستحضر هيلين ومعها بول بصحبة ستيفان .هذه أخبار سارة كاترين .»

وتألقت عيناها فرحاً ثم أضافت:

«بل رائعة وإني لا أصدق أن الغمة انقشعت يا ماماه.»

فأخذت السيدة ميدوبوليس يدي كاترين بين يديها ونظرت إليها بنظراتها القوية الطيبة وابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت لها:

«بدأت الآن يا صغيرتي تناديني «ماما» وأعتقد أن هذا افضل.»

ولمعت عينا السيدة ميدوبوليس السوداوان بخبث عندما تنبهت كاترين لذلك، ولم تسأل كاترين السيدة ميدوبوليس عن معنى قولها، لكنها سمعت أزيز الطائرة التي تحمل ستيفان الى الجزيرة. ونسيت لحظة أن

nlo
liilas.com

nio

نيكولاس وهيلين وحتى بول كانوا معه»

ومرّ يومان قبل أن يسمح لغريغوري بمغادرة المستشفى، لكن في اليوم التالي للحادث اصطحب ستيفان كاترين معه في الطائرة وأحضرا معهما أليكس والبنتين، وكان أليكس يلزم الصمت في البداية ويميل إلى التعلق بكاترين ولا يفارقها، لكن خاله ستيفان نجح في المساء بجعله يهتم بهوه ثانية. عاد الطفل الى حالته الطبيعية.

أما بول برحه الطبيعي فقد بدا له هذا الحادث كنزهة بحرية،وأخذ يتحدث عنها بلا انقطاع مما أدهش نيكولاس وأغضبه، فبالرغم من أنه شارك في البحث عن ابن أخته والبنتين، لم يتعلق بهم أكثر من قبل. وكان حبّ كاترين الطبيعي للأطفال يجعلها لاتفهم شعور نيكولاس أبداً.

لم يبذل نيكولاس أي مجهود لرؤية كاترين بمفردها طوال اليومين الماضيين، ولم تعرف أذا كان ذلك بتأثير من استيفان أم لا؟ وانتابها الفضول وودت لو عرفت السبب وراء هذا التغيير المفاجىء. فهي تشك في استيفان ولكنها لم تتمكن من سؤال أي منهما.

أما علاقة كاترين باستيفان فاعتراها تغيير عميق. انه الآن أكثر رقة وأقل عبوساً من قبل، وشعرت أنها أصبحت أكثر قرباً منه، وذكّرها هذا بالشعور الذي انتابها في السيارة يوم وقوع الحادث عند عودتها من الشاطىء. كان من العسير عليها ادراك أنها اضطرت الى الاعتقاد بأن شعوره نحوها لم يصبح أعمق كما حدث لشعورها نحوه. والواقع أن الرقة التي أظهرها نحوها عندما أخبرها بفقد أليكس جعلتها تفهم شخصيته على نحو أعمق وأفضل. وقد غطت هذه الرقة على استيائها الذي كانت تستعمله درعا أمام سحره الكبير.

ورأت نفسها تلجأ الى طرق تجعلها في صحبته ذاتها حتى ولو كان الأطفال معها،وكانت غرفة نومها الهادئة المكان الوحيد الذي تسمح لنفسها فيه بالتصريح بحبها له. وكانت تعلم أنه حب بلا أمل فهي تعرف أنها ليست فتاة

أحلام ستيفان.

أما الشيء الذي أسعد كاترين حقاً فهو التحسن في علاقة هيلين وغريغوري، فمنذ الحادث تقاربا وارتباطا. ولعل ذلك يرجع لتلك الساعات الحالكة التي قضياها في إنقاذ بنتيهما. وكانت هيلين تهرع يوميا لزيارة غريغوري في المستشفى ثم رحبت بعودته الى المنزل في سعادة ومحبة.

وسعدت كاترين بهذا التغيير، اذ كان ينتابها شعور بالذنب لدور أبيها في تعاسة هيلين التي أصبحت الآن تقدر زوجها وتحترمه.

ولم يكن نيكولاس بل ستيفان هو الذي تبع كاترينا الى الحديقة ذاك المساء،وذلك بعد رجوع غريغوري الى المنزل. ولم تنتبه كاترين لوجوده إلا بعد أن ناداها باسمها بصوت خفيض. ففزعت واستدارت ووضعت يدها على عنقها وبان في عينيها الخوف فسألها ستيفان قائلاً:

«هل أفزعتك؟»

تبعها ستيفان وهي سائرة نحو الأشجار، وذكّرها ذلك بليلتهما الأولى في الجزيرة. مال ستيفان على أحد أشجار السرو يرتكز عليها كما فعل من قبل ثم أخرج سيكارة من جيبه وأشعلها.

وتذكرت كاترين أن مظهره في تلك الليلة أثارها وحرك الدم في عروقها. أما هذه الليلة فلم تشعر بالخوف منه. وبدلا من أن تنظر إليه بشك ابتسمت له وتذكرت أيضاً أنه كانت ترتدي ثوباً قصيراً لونه أصفر، أما ثوبها اليوم فمصنوع من قماش ناعم يلتصق بجسمها الغض فيظهر مفاتنه ثم ينساب في اتساع عند قدميها.

وبدت ضئيلة الحجم دقيقة القد في ثوبها المصنوع من الشيفون الليموني، واقفة عند حافة مجموعة من الأشجار. وأخذ ستيفان ينظر اليها صامتاً.إن ضوء الهلال الوليد لم يتوغل في الأشجار الكثيفة فلم تتمكن من رؤية وجهه وتعبيراته فيما عدا بريق عينيه العميقتين.

وخفق قلبها بين ضلوعها يحذرها منه لو تخلف ستيفان عن الحضور

nlo

وضغطت على يديها بشدة حتى تكفا عن الارتجاف، ثم مشت تحت ظلال الأشجار قبل أن تستدير وتواجهه. وسمعته يقول برقة:

«هل كنت في انتظار نيكولاس ؟»

نظرت اليه عاتبة وهي تحاول أن تهدىء من صوتها:

«لا، لا بد أنك قد حذرته ثانية فأطاع هذه المرة.»

وافق استيفان على كلامها قائلا:

«أعتقد ذلك.»

ثم استدارت ومشت بين الأشجار المزهرة التي لم تتبين ألوان زهورها في الضوء الخافت، لكن رائحتها كانت قوية نفاذة. ثم خرجت الى ضوء القمر ونظرت الى الهلال الوليد فوجدته اليوم ظلاً باهتاً إذا قورن بضوء البدر عند اكتماله.

وتبعها استيفان كما توقعت، ولم تجرؤ على النظر إليه لأنه يثير في نفسها كل المشاعر التي تود أن تخفيها عن نفسها. فرأسه المتغطرس بشعره الأسود وتلك القسمات التي تشبه الصقر وأنفه الأشم وفمه النادر الابتسام، الذي اذا ابتسم يجعل نبضها يتسارع. كلها أصبحت حبيبة الى نفسها خلال الأيام القليلة الماضية، وكانت تود من كل قلبها أن تجعله يشعر بأحاسيسها.

ولفت نظرها شيء يلمع في الرمال تحت قدميها مباشرة فانحنت والتقطته وقلبته في يدها لتتعرف عليه. ثم قالت لستيفان :

«إنها حلية من ثوب هيلين الأزرق، أضاعتها عندما كانت تتنزه مع غريغوري هنا الليلة الماضية.»

«إذن أعطيها لها.»

وكان كلامه طبيعياً هادئاً لكن قلب كاترين أنبأها بعكس ذلك، فارتجفت أصابعها وهي تقبض على تلك الحلية البراقة وضحكت ضحكة فيها شيء من العصبية وقالت:

«لم أر هيلين و غريغوري قبل ذلك يخرجان للنزهة في ضوء القمر.»

وتساءلت هل يغضبه أن تناقش أمور عائلته بهذه الصراحة؟؟ وكان سائرا

وراءها تماما تشعر به. وارتجفت لقربه منها وأحست بحرارة جسمه على ظهرها وكتفيها العاريتين، وبقوة ذراعه كلما لمستها. وكان هذا الشعور يسبب لها الرجفة. ثم سألها:

«وهل يدهشك هذا؟»

فهزت رأسها بسرعة وقالت وهي تتذكر هيلين و غريغوري:

«لا، ولكن هناك أني لم أرهما يخرجان معاً منذ أتيت إلى هنا.»

فاستطرد قائلا:

«انهما عاشقان.»

وشعرت كاترين بالسرور لمجرد سماع هذه العبارة البسيطة ثم أدارت رأسها إليه وهي تبتسم وتقول:

«إنك تتكلم بلهجة الواثق مما يقول.»

فهز رأسه وقال بجدية:

«صحيح.»

وكما حدث في المرات السابقة وضع يده على ذراعها، وكان كفه دافئاً وناعما وأصابعه قوية، فخفق قلب كاترين بشدة بين ضلوعها وهي تجوب الشاطىء الرملي وتنظر الى ذلك القمر الفضي وسمعته يقول لها برقة:

«أرأيت كيف تنجح دائماً مساعي للتوفيق في زواج الناس.»

فنظرت إليه وهي غير مصدقة. كانت غارقة في أحاسيسها نحوه ونسيت سعيها لايجاد زوج لها. وفجأة شعرت بالبرودة تسري في جسمها والدهشة تعقد لسانها.

«هل مازلت تنوي البحث لي عن زوج؟»

قالت ذلك بصوت هامس وعيناها تدرسان وجهه الذي لم يظهر لها واضحاً في ضوء القمر الخافت. ولكن عينيه كانتا تبرقان ولم تتمكن كاترين من قراءة ما فيهما من معان وسألها بهدوء:

«ألا تريدين الزواج؟»

nlo

«ليس..بس..»

«حتى ولو كان رجلا تحبينه؟»

فصاحت كاترين تقول وهي ساخطة:

«بودي لو رأيت وجهك، فلست متأكدة إذا كنت جاداً أم مازحاً، لا أستطيع أن أصدق أنك جاد.»

فأكد لها ذلك قائلا:

«إنني جاد جداً.»

«إذن فأنت جبار لا قلب لك، عديم الانسانية.»

فرد عليها ببرود قائلا:

«لا أحب أن أنعت بهذه الصفات، وأحب أن أذكرك أنني يا حبيبتي قد برهنت عن خطأك من قبل.»

ثم أوقفها وظلت يداه تمسكان بها وإبهامه يتحسس جلدها الأملس وقال:

«ألا تريدين حتى أن تعرفي من هو الذي اخترته لك يا صغيرتي؟»

فنظرت إليه كاترين محملقة في صمت، وأردف يقول:

«حتى لو كان رجلا تحبينه؟»

فقالت بصوت خفيض:

«إنني لا أحب نيكولاس.»

وظهرت على وجهه ابتسامة خاطفة وقال لها:

«ولكنني لم أذكر نيكولاس ياكاترينا.»

«إذن من هو؟»

وحبست أنفاسها انتظاراً لرده، وكان وجهه قريباً منها، فرأت في عينيه السوداوين ما جعل نبضها يسرع بجنون، ونظرت إليه بعينين متسائلتين وقالت:

«ستيفان؟»

فامتدت ذراعاه القويتان اللتان لا تقاومان وضمها إليه، وشعرت بحرارته، ووضعت كفيها على صدره لتتحسس دقات قلبه الرتيبة القوية.

وكان بريق عينيه كافياً لأن يحرك دماءها ويسكرها، فرفعت ذراعيها وطوقت عنقه، ولم تحسّ بالضغط أو التحفظ بل شعرت بشعور قوي لأنه قدّرها وأحبها.

وكان عناقه يحوي كل معاني الامتلاك، فراحت مقاومتها له تفتر وهي تتجاوب مع شعورها القوي الذي كان يقلقها في الأيام الماضية. وكانت يداه القويتان اللتان تتحسسانها والكلمات التي يهمس بها في أذنيها بلغته اليونانية أشبه بالسحر الذي خضعت لتأثيره بدون أي تفكير، وسمعته يقول:

«هل تتزوجينني؟»

وبرقت عيناه في الضوء الخافت وهزت كاترين رأسها موافقة ولكنها أدركت أنه لن يراها.

ونظرت إليه وعيناه تبرقان كالجواهر، ووضعت أصبعها على فمه وشعرت براحة وسكون في قلبها حتى خيّل إليها أنه كفّ عن الخفقان، ثم قالت له برقة:

«وهل تسألني؟»

ضمها إليه بقوة وعانقها طويلاً مما جعلها تعجز عن التنفس ثم قال لها:

«لا تعبثي بي يا حبيبتي، أريد ردك الآن.»

وكانت كاترين تغامر بهذا السؤال وتعرف ذلك، ولكنه ضمها إليه بشدة وقال لها بصراحة:

«لأني أحبك، ولابدّ أن أجعلك تندمين عى طريقة معاملتك لي، أليس لديك رحمة لتتركيني في حيرة هكذا؟»

فوضعت كاترين يدها على وجهه ولمست خديه وقالت:

«ستيفان، أردت أن أسمع هذه الكلمة منك فقد قال نيكولاس...»

«لاشك أن نيكولاس قال لك كلاماً كثيراً وكان من الحكمة ألا يفعل.»

واحتوى وجهها الصغير بين يديه ونظر الى ملامحها وعينيها الخضراوين الكبيرتين وابتسم تلك الابتسامة النادرة وقال لها:

«ولكنني أعرف ما يقلقك، فهل تصدقني يا صغيرتي أذا قلت لك إنني لم أنظر إلى

liilas.com

nlo

امرأة أخرى منذ حضورك إلى هنا ـ هل تصدقينني؟»

فردت هامسة:

«أصدقك وأحبك كثيراً ولن أجعل شيئاً من الماضي يثنيني عنك.»

«كان في عزمي أن أطلب منك الزواج ليلة وجدتك مع نيكولاس هنا، ولكنك كنت غاضبة مني، وكان من العسير أن تصدقي نيتي حينئذ يا حبيبتي.»

فتنهدت كاترين وأسفت على ذلك الوقت الذي أضاعاه، وقالت له:

«ليتك فعلت ذلك إذ كان من السهل عليك إقناعي تلك الليلة.»

ثم طوقها بذراعيه ثانية وقربها منه وأحنى رأسه وشعرت بأنفاسه، وقال لها:

«سوف أتذكر عندما تبدين لي العناد في المستقبل. والآن اعطني جوابك فوراً، هل تتزوجينني؟ أم يتعين عليّ أن أقنعك حتى أحظى بردك؟»

فردت هامسة:

«أتمنى أن تفعل.»

وضحكت ضحكة ناعمة أسكتها بعدها بعناق طويل.

lilas.com